

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي
أسرى الزمن
المؤلف
د. نبيل فاروق
● إلى أى زمن ، وأى كوكب ، سَينتقِلُ (نور) ورفاقه ، خلف خصمهم اللّدود ؟
● كيف يواجه الفريق شيطان الغرب ، وقائد المخابرات النازيّة ، واحدًا بعد الآخر ؟
● تُرى .. أينتهى الصراع هذه المرّة؟ أم يتحوّل (نور) ورفاقه إلى (أسرى الزمن) ؟
● اقرأ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (نور) فى حلّ اللُّغز .
٥٥
الثمن فى مصر
وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربيــة والعالم
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
العدد القادم : شيطان الأجيال
ملف المستقبل ● أسرى الزمن ● ٥٥ ج ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●
روايات مصرية للجيب
ملف المستقبل
أسرى الغد !!
٥٥
أسرى الزمن
باسل
Www.dvd4arab.com



١ ــ أمريكا .. الدم ..

ولاية (تكساس) الأمريكية .. عام ألف وثمانمائة وثمانين ..

مدينة صغيرة .. أطلق عليها سكّانها الألف ، اسم (بلاك ستون) ..

فارس من رعاة الأبقار ، يقترب على متن جواده فى تمهل ، من بنك المدينة الصغيرة ..

هكذا تبدأ القصة ..

أوقف الفارس جواده أمام البنك ، وهبط منه فى هدوء ، وعقد لجامه فى قائم خشبى معدّ لهذا الغرض ، ثم دفع حافة قبعته العريضة بطرف إبهامه ، وتحسّس مسدّسه المتدلّى من حزامه ، داخل جراب قديم قذر ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، ثم دَلَف إلى البنك ..

واستقبله موظف البنك فى ترحاب ، وهو يسأله فى مزيج من اللهفة والاحترام :

ــ هل يرغب السيّد فى فتح حساب لدينا ؟.. دولارات سائلة أم ذهب ؟

أجابه الفارس فى لهجة تحمل نبرة ساخرة :
ــ لا هذا ولا ذاك .
وبأسرع من لمح البصر ، انتزع مسدَّسه من جرابه ، وجذب إبرته ، وهو يلصقه بجبهة الموظَّف مستطردًا :
ــ لقد جئت للسحب ، لا للإيداع .
ارتجف الموظَّف ، وجحظت عيناه فى ذعر ، وهو يغمغم بصوت مرتجف :
ــ هل يملك السيِّد حسابًا لدينا ؟
أجابه الفارس فى سخرية :
ــ كلَّا .. ولكننى سأسحب كل ودائع الآخرين .
اتسعت عينا الموظَّف ، وهو يغمغم فى رعب :
ــ أهى عملية سطو ؟
أطلق الفارس ضحكة ساخرة قصيرة ، قبل أن يجيب :
ــ يا للشيطان !! .. ألم تفهم بعد يا رجل ؟! .. أأنت من ذلك النوع ، الذى لا يستوعب مثل تلك الأمور ، إلا بعد أن تستقر رصاصتى فى رأسه .
ارتجف الموظَّف ، وتراجع رافعًا ذراعيه ، وهو يهتف فى صوت مُختَنِق :

ــ مستر (بوك) .. مستر (بوك) .
اندفع من الحجرة الجانبية الوحيدة للبنك رجل بدين ، أصلع الرأس ، يرتدى حلة أنيقة ، لم يكد يلمح الموقف حتى شحب وجهه ، ورفع ذراعيه ، وهو يغمغم فى رعب :
ــ (كاسيدى) ؟!
أطلق الفارس ضحكة ساخرة أخرى ، قبل أن يقول فى لهجة أقرب إلى الزهو :
ــ رائع .. هذا سيختصر الإجراءات كثيرًا ، ما دمت قد تعرَّفتنى يا مستر (بوك) .. ولا عجب فى ذلك ، فأنا ــ وبكل فخر ــ أكثر لصوص البنوك شهرة فى الغرب كله .
ثم انعقد حاجباه ، واكتست ملامحه بشراسة وصرامة مفاجئتين ، قبل أن يستطرد :
ــ والآن يا مستر (بوك) .. مر ذلك الغبى بتعبئة كل الذهب والأموال فى أكياس أنيقة ، فسأضيف اسم بنكك إلى قائمة البنوك ، التى تودع أموالها فى حسابى الخاص .
ازداد شحوب وجه (بوك) وامتقاعه ، وهو يقول للموظَّف فى صوت أقرب إلى البكاء :
ــ نفِّذ ما أمرك به مستر (كاسيدى) يا (چورچ) .

أسرع (چورچ) يعبئ كل محتويات خزانة البنك فى خمسة أكياس كبيرة ، تحمل اسم البنك ، وناولها لـ (كاسيدى) وهو يرتجف ، فتناولها هذا الأخير ، وتراجع فى بطء ، وهو يقول فى سخرية :

ــ شكرًا يا مستر (بوك) .. لن تحتاج أموالك لكل تلك التعقيدات ، التى تتبعونها فى البنوك ، فلست أنوى الاحتفاظ بها طويلًا .. سأنفقها عن آخرها قبل مضى أسبوع واحد .. أنت لا تدرى كم هى شرهة موائد القمار .

وفى حركة سريعة اندفع خارج البنك ، وحلّ لجام حصانه بضربة واحدة سريعة ، وقفز على صهوته ، وهو يهتف :

ــ انطلق يا (هوايت) .. هيَّا .

ولم يكد يتم عبارته ، حتى اندفع جواده الأبيض الناصع يعدو ، مخترقًا شارع المدينة ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها (بوك) خارج البنك ، وهو يصرخ :

ــ النجدة !! لقد سرق أموال البنك !! النجدة !!

انتزعت صرخته المأمور (چاك) ، ومساعده (هيوستون) ، من مكتبهما ، فقفز كل منهما يختطف بندقيته ، وفى لحظة كانا على صهوة جواديهما ، ينطلقان خلف

(كاسيدى) ، وبصحبتهما عشرة فرسان من رجال المدينة ..

وبدأت واحدة من أشهر المطاردات فى الغرب ..

كان (كاسيدى) ينطلق بأقصى سرعة لجواده القوى ، عبر الصحراء الجبلية ، التى تفصل مدينة (بلاك سعون) عن أقرب المدن إليها (دالاس) ، وهو يستحث جواده على الإسراع ، هاتفًا :

ــ أسرع يا (هوايت) .. أسرع يا صديقى .. لن يروق لك أن ترانى متدليًا من حبل المشنقة .

ومن خلفه انطلق اثنا عشر رجلًا على متون جياد قوية ، وقد عقدوا العزم على اقتناص (كاسيدى) .. الذى تبحث عنه كل سلطات الغرب ..

وبعد نصف ساعة فقط ، بات من الواضح أن المطاردة تسير فى غير صالح (كاسيدى) ، فقد انقسم فريق المطاردة إلى نصفين ، عمد أحدهما إلى اختصار الطريق عبر ممر جبلى ضيق ، ليعترض (كاسيدى) ، فى حين واصل النصف الآخر مطاردته له ، ورجاله يطلقون الرصاصات خلف لص البنوك ..

وفجأة .. وجد (كاسيـدى) نفسه محاصرًا من الأمام والخلف ، وأيقن أنه خاسر لا محالة ..

وبكل شراسة ووحشية حيوان مفترس ، وجد نفسه فجأة فى المصيدة ، راح (كاسيدى) يمطر مطارديه برصاصاته ، فأصاب منهم رجلين فى مقتل ، وثلاثة آخرين بجروح شديدة ، قبل أن تنفد ذخيرته ..

وصوَّب المأمور (جاك) فوَّهة بندقيته إلى (كاسيدى) ، وهو يقول فى غضب وخشونة :

ـ ما رأيك يا لص البنوك ؟.. هل تفضِّل الموت برصاصة بندقية ، أو بحبل المشنقة ؟

وفجأة .. دوَّى من أعلى المرتفع الصخرىّ ، الذى يلتصق به (كاسيدى) صوت صارم قوىّ ، يقول فى حزم :

ـ لا هذا ولا ذاك أيُّها السَّادة .

رفع الجميع عيونهم إلى مصدر الصوت ، وانفرجت أجفانهم إلى أقصاها ، وجحظت العيون فى ذهول ..

فهناك .. فى أعلى المرتفع .. كان يقف رجل قوىّ البنيان .. صارم الملامح ، يرتدى ثياب الغرب ، وإلى جواره فقَّاعة زجاجيَّة ضخمة ، تتألَّق ببريق عجيب مع انعكاس أشعة الشمس فوقها ..



وفجأة .. دوَّى من أعلى المرتفع الصخرىّ ، الذى يلتصق به (كاسيدى) صوت صارم قوىّ ..

رجل ظهر فجأة ، كأنما قد برز من العدم ..

رجل من القرن الخامس والثلاثين ..

* * *

وقف (نور) شاردًا، ساهمًا، داخل تلك الفقاعة الزجاجية، التى تنقله مع رفاقه من قلعة (فيبوناتشى)، فى (روما) القرن السادس عشر، عبر الفضاء والزمن، إلى أمريكا القرن التاسع عشر، ليلحقوا بخصمهم اللدود، الدكتور (خالد رضوان)، فى كوكب آخر، وحقبة أخرى من حقب الزمن ..

وفى صمت راح (نور) يسترجع بذاكرته كل ما مرَّ به مع رفاقه ، منذ بدأت تلك المغامرة ..

لقد فوجئ مع رفاقه بزائرين من القرن الخامس والثلاثين فى منزله ، وأقنعه الزائران بأنهما ليسا من زمن المستقبل ، ولكن من كوكب شبيه بالأرض ، يحيا فى عصر متقدِّم ، يطابق ما ستصل إليه الأرض فى القرن الخامس والثلاثين و ....

واصطحب الزائران (نور) ورفاقه إلى كوكبهم ، وإلى عصرهم ، وهناك وجدوا مهمة تنتظرهم ..

كان الدكتور (خالد رضوان) ، عالم القرن الخامس والثلاثين قد تمرَّد على عصره ، وفرَّ من كوكبه إلى كواكب

أخرى شبيهة بكوكب الأرض ، تعيش فى حقب زمنية تمثِّل ماضى كوكب الأرض ..

وبدأت المطاردة عبر الكواكب ..

وعبر العصور ..

وتصارع فريق القرن الحادى والعشرين ، مع رجل القرن الخامس والثلاثين فى مصر الفرعونية ..

فى زمن (خوفو) .. فى القرن الثلاثين قبل الميلاد ..

وتقاتلا فى (روما) القرن السادس عشر بعد الميلاد ..

وفى المرتين نجح الدكتور (خالد) فى الفرار إلى كوكب آخر ، وزمن آخر ..

وما زالت المطاردة مستمرة(*) ..

وما زال القتال ممتدًا فى أمريكا .. بلاد الثروة والدم، فى القرن التاسع عشر ..

قطع ذكريات (نور) صوت (سلوى) ، وهى تسأله :

ـــ هل أنت واثق من أننا سنصل إلى نفس المكان ، الذى وصل إليه (خالد) ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى هدوء :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوَّل (عبر العصور).. المغامرة رقم (٥٤) .

— بكل تأكيد يا (سلوى) .. إن تلك الفقّاعة التى نستقلها تعمل بوسيلة خاصة ، أشبه ببرمجة الكمبيوتر فى عصرنا ، فهى مبرمجة بحيث تتبع فقّاعة الدكتور (خالد) ، أينما ذهب ... إننا لانملك حتى تغيير مسارها .

تطلّعت (سلوى) فى حَيْرة إلى ذلك البريق الفضى ، الذى يحيط بالفقّاعة ، ويحجب عمَّن داخلها مايدور خارجها ، وغمغمت فى توتُّر :

— ذلك البريق يجعلنى عصبية .

ابتسم ابتسامة شاردة ، وهو يقول :

— الغموض هو الذى يجعلك كذلك يا عزيزتى ، فأنت تتمنين رؤية مايحدث بالخارج .

تدخَّل (محمود) ، قائلًا .

— هذا صحيح يا (نور) .. إننى أتساءل : لماذا تحجب عنَّا تلك الفقاعة الرؤية ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول :

— إن هذا يحدث منذ البداية يا (محمود) ، منذ انتقلنا مع (طاهر) و (سليمان) إلى كوكب القرن الخامس والثلاثين ، وربَّما يعتمد ذلك على الوقود أو الطاقة المستخدمة لتسْيِيرها .

غمغم (رمزى) :

— أو على ما ينبغى إخفاؤه !

ساد الصمت لحظة ، ثم غمغم (نور) ، وهو يعقد حاجبيه ، دلالة على التفكير العميق :

— دَعُونا من هذا الآن يا رفاق .. إننا فى طريقنا لمواصلة القتال مع خصمنا .. عَبْر العصور .

* * *

شعر المأمور (جاك) بمزيد من الدهشة والتوتُّر ، وهو يصيح فى وجه الدكتور (خالد) :

— من أنت يا رجل ؟.. وماذا تريد ؟.. إن هذا الرجل لص بنوك معروف ، ولقد قتل فى أعوام عمره الثلاثين أكثر من مائة رجل ، ومعاونته تعدّ تدخُّلًا فى سير العدالة .

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة مجلجلة ، قبل أن يقول :

— أيّة عدالة أيها المأمور ؟!.. هل تقتضى العدالة أن تقتل رجلًا بلا محاكمة .

عقد المأمور (جاك) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— لقد حُوكِم هذا الرجل غيابيًا أكثر من مرَّة ، وأُدِينَ فى كلِّ المحاكمات ، وصدرت ضده ستة أحكام بالإعدام ، وثلاثة بالأشغال الشاقة المؤبَّدة و .....

قاطعه (خالد) فى برود ساخر :

ـ ولكن أيًا من هذه الأحكام لن يُنَفَّذ أيها المأمور ؛ لأن (كاسيدى) صديقى .

كان (كاسيدى) أكثر الجميع دهشـــة ، حينما نطق (خالد) بهذه الكلمات ، ولم ينبس بحرف واحد ، حينما صاح المأمور فى صرامة غاضبة ، وهو يرفع فوَّهة بندقيته إلى صدر (خالد) :

ـ إذن فلتَمُتْ معه .

ودوَّت طلقته وسط الجبال ، وامتزجت بضحكة ساخرة رهيبة ، انطلقت من بين شفتى الدكتور (خالد) ، حينما ارتطمت الرصاصة بصدره ، وارتدَّت فى عنف ..

وتراجع الجميع فى ذهول ..

وعقد الدكتور (خالد) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول بصوت مخيف :

ـ لا تحاول مرَّة أخرى أيها المأمور .. إن رصاصاتكم لن تخترق صدرى .. عودوا إلى مدينتكم ، وأبلغوا الجميع أن (كاسيدى) وصديقه (خالد) فى الطريق ، وأنهمـا سيحكمان (بلاك ستون) .

وعاد يطلق ضحكته الساخرة ، التى أثارت الرعب فى قلوب الجميع ، قبل أن يُرْدِف فى حزم :

ـ وستكون هذه هى نقطة الانطلاق ، نحو حكم العالم أجمع .. عالم (خالد رضوان) .

* * *





٢ ـ رُعْب فى الغرب ..

« هذا مستحيل !! مستحيل يا سيِّدى !! » .

هتف (هيوستون) ، مساعد المأمور ، بهذه العبارة فى صوت مرتجف ، يموج بِرُعْب هائل ، وهو يدور كالليث الجريح ، داخل مكتب المأمور ، الذى زفر فى قوّة ، محاولًا نفض تلك الأطنان من الانفعالات ، التى تجتاح كيانه ، قبل أن يغمغم فى توتر وإحباط :

ـ ولكنه حقيقة يا (هيوستون) .. حقيقة حدثت أمام أعيننا جميعًا .. إننى لم أرَ أو أسمع شيئًا كهذا طيلة عمرى ، ولكنه حدث ..

وارتجف صوته بدَوْرِه ، وهو يُرْدِف :

ـ ما زلت أذكر كيف صرخ القاضى (لوجان) فى وجهه ، واتهمه بأنه شيطان ، وكيف أطلق ذلك الشيطان شعاعًا من الضوء ، من فوّهة مسدّسه ، اخترق رأس (لوجان) ، كما لو كان رصاصة بندقيّة قويّة ، دون صوت

أو دُخان .. إننى أميل إلى رأى (لوجان) المسكين .. ما هذا الرجل إلّا شيطان .. وهذا يبرِّر مساندته لمجرم خطير مثل (كاسيدى) .

هتف (هيوستون) فى ذُعر وتوتُّر :

ـ وماذا سنفعل يا سيِّدى ؟.. هل سنجلس وننتظر قدومه إلى هنا ، واحتلال (بلاك ستون) كلها .. إنه يسعى للسيطرة على (أمريكا) كلها ـ بل العالم ـ كما قال .

هزَّ المأمور (جاك) رأسه فى يأس ، وقلَّب كفَّيه مغمغمًا :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل يا (هيوستون) ؟.. لقد أبلغت المدينة أننا سنتعرَّض لغزو مخيف ، ولقد أقمنا المتاريس ، وكل رجل بالمدينة ينتظر ببندقيّته وذخيرته .. ماذا يمكننا أن نفعل فوق ذلك .

هتف (هيوستون) :

ـ يمكننا أن نستعين بوحدات الجيش .. هناك حصن على بعد عشرين كيلومترا من هنا و .....

قاطعه (چاك) فى أسف :

ـ كيف يا (هيوستون) ؟.. كل خطوط الاتصال مقطوعة كما تعلم .

صاح (هيوستون) فى انفعال :

ـ سأذهب بنفسى .. سأذهب إلى حصن الجيش على صهوة جوادى و .....

قاطعته طَرَقات هادئة على باب المكتب ، وعلى الرغم من هدوئها ، إلّا أنه التقط مسدَّسه من جرابه فى حركة سريعة ، وصوَّبه إلى الباب ، وهو يهتف فى عصبية :

ـ مَنْ هناك ؟!

أشار إليه (چاك) أن يخفض مسدَّسه ، وهو يقول :

ـ رُوَيْدَك يا (هيوستون) .. إن الهجوم لم يبدأ بعد .

ثم استطرد فى هدوء :

ـ أدخل يا مَنْ بالباب .

فُتح البابُ فى هدوء ، وظهر على عتبته أربعة أشخاص .. ثلاثة رجال وامرأة ..

وتقدَّم أحد الرجال نحو المأمور ومساعده ، وابتسم ابتسامة هادئة ، أزالت الكثير من شكوكهما وتوتُّرهما ، قبل أن يقول :

ـ من منكما المأمور (چاك) ؟

أجابه المأمور ، وهو يعقد حاجبيه فى تساؤل :

ـ إنه أنا .

وصاح (هيوستون) فى عصبية :

ـ من أنتم ؟.. وكيف دخلتم إلى هنا ؟.. إنكم لستم من سكَّان (بلاك ستون) !

ابتسم الرجل ، وهو يقول فى هدوء :

ـ هذا صحيح .. إننا زائرون .. وصلنا إلى مدينتكم بالمصادفة ، وعلمنا ما تنتظرونه .

وصمت جزءًا من الثانية ، قبل أن يستطرد :

ـ اسمى (نور) .. وهؤلاء رفاقى ، وأظن أنه لدينا وسيلة .

صاح به (هيوستون) فى حِدَّة :

ـ وسيلة لماذا ؟

اتسعت ابتسامة الرائد (نور) ، وبدت متناقضة مع وجوه رفاقه المتجهِّمة ، وهو يقول فى هدوء :

ـ وسيلة لهزيمة الشيطان .

* * *

لم يكفّ (كاسيدى) عن التطلّع إلى وجه (خالد) ، فى مزيج من الخوف والحَيْرة ، وهما يتجهان على صهوة جواديهما إلى حدود مدينة (بلاك ستون) ، وتردَّد السؤال على لسانه طويلًا ، قبل أن يلقيه فجأة ، قائلًا :



لم يكف (كاسيدى) عن التطلُّع إلى وجه (خالد) ، فى مزيج من الخوف والحيرة ، وهما يتجهان على صهوة جواديهما ..

ــ من أنت أيها السيِّد ؟.. وماذا تريد بالضبط ؟

ابتسم (خالد) ابتسامة غامضة ، قبل أن يجيب :

ــ لقد أخبرتك من قبل يا (كاسيدى) .. إننى صديق ، يرغب فى أن يمنحك حكم (أمريكا) كلها .

صاح (كاسيدى) فى توتُّر :

ــ لماذا ؟.. إننى لا أفهم السبب .. إننى أعجز حتى عن فهمك .. إنك تخيفنى فى الحقيقة .. كل شىء فيك يخيفنى .. أُسلوبك .. سلاحك الضوئى العجيب .. حتى جوادك .. إنه ليس جوادًا حقيقيًّا .. إن عينيه تبرقان على نحو مخيف .

أجابه (خالد) فى صرامة :

ــ حاول أن تتجاهل كل هذا .. وأن تكتفى فقط بالتفكير ، فى أنك ستصبح عن قريب رئيس (أمريكا) كلها .

هتف (كاسيدى) :

ــ ولماذا ترغب فى السيطرة على (أمريكا) كلها ؟

بقى السؤال دون جواب لوقت طويل ، قبل أن يقول (خالد) فى هدوء :

ــ هذه القارة ضخمة ، ومُمتلئة بالخيرات يا (كاسيدى) ، وتحوى فى باطنها شيئين ، ستكون لهما كل القوة والسيطرة

على العالم ، حتى نهاية القرن العشرين على الأقل .. الذهب ، والبترول .. وفى أعماق جبالها توجد القوّة الثالثة ، التى ستحكم العالم لعشرة قرون أخرى .. اليورانيوم .

غمغم (كاسيدى) فى دهشة :

ــ الـ .... ماذا ؟

ابتسم (خالد) فى سخرية ، وهو يجيب :

ــ لا عليك .. لم يحن الوقت بعد لتفهم هذا .. المهم أن من يُسَيْطِر على (أمريكا) فى هذه الحقبة ، يمكنه أن يسيطر على العالم أجمع ، قبل حلول القرن العشرين ، خاصّة حينما يصنع القنبلة الذرية ، قبل أن يجيد العالم صنع الديناميت .

امتلأ قلب (كاسيدى) بذعر عجيب ، وهو يغمغم :

ــ وما هذه القنبلة ؟

عقد (خالد) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة .

ــ إننى أكره كثرة الأسئلة .. هل ستتبعنى أم لا ؟

ارتجف (كاسيدى) ، الذى لم يرتجف أبدًا من قبل ، وهو يغمغم :

ــ سأتبعك .. سأتبعك بالطبع .

عادت إلى شفتى (خالد) ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

ــ من الخير لك أن تفعل ، فما لا تعلمه هو أن (بلاك ستون) تسبح فوق بحر من البترول ، وتحيط بها جبال تحوى اكبر قدر من الذهب واليورانيوم فى العالم ، وستكون خطوتنا الأولى هى احتلالها ، والانطلاق منها لحكم (أمريكا) كلها ، ثم العالم فيما بعد .. وستكون أنت الحاكم الاسمى ، أمّا أنا ، فسأكون الحاكم الفعلى ، الذى يختبئ خلف الستار ، وستأمر أبناءك وأحفادك بطاعتى عبْرَ الزمن .. وعَبْر العصور .

غمغم (كاسيدى) فى مزيج من الدهشة والذّعر :

ــ وهل ستبقى طوال كل هذه السِّنين ؟

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة ، سرت لها قشعريرة قويّة باردة فى جسد (كاسيدى) ، قبل أن يقول فى صوت مخيف :

ــ نعم .. سأبقى .. سأبقى حتّى النّهاية .. أما البداية فستكون هنا .. فى (بلاك ستون) .. التى ستذوق الليلة أبشع رُعْب فى الغرب .

* * *

انتفض جسد مساعد المأمور ، وهو يومئ نحو (نور) ورفاقه بسبّابته ، صائحًا :

ــ إنهم جواسيس أيها المأمور .. أراهنك أنهم كذلك .

عقد (چاك) حاجبيه فى شك ، فى حين انبرى (رمزى) قائلًا فى هدوء :

ـــ عجبًا !! .. ألم تتوكّد منذ لحظات أن ذلك الشيطان يمكنه وحده هزيمة جيش كامل ؟! .. لماذا يحتاج إلى جواسيس إذن ؟

ارتبك (هيوستون) لحظة ، ثم لم يلبث أن عاد يهتف فى توتُّر :

ـــ ولماذا تظهرون أنتم فى هذه اللحظة بالذات ، وأين جيادكم ؟.. إن غريبًا لم يطأ هذه المدينة منذ أعوام !

أجابته (سلوى) فى هدوء :

ـــ ربَّما كنَّا رُسل الغَوْث يا فتى .. المهم أننا سنعمل إلى جانبكم ، فى مواجهة الشيطان ، ألا يكفى هذا ؟

مرَّة أخرى ارتبك (هيوستون) ، وحارَ فى البحث عن جواب ، فى حين تأمَّل (چاك) (نور) ورفاقه فى حَيْرة ، وتمتم فى لهجة أقرب إلى الاستسلام :

ـــ وماذا يمكنكم أن تفعلوا فى مواجهة رجل لا تخترق الرصاصات جسده ، ويملك سلاحًا ضوئيًا قاتلًا ، لم نرَ له مثيلًا أبدًا ؟

ابتسم (نور) ، وتبادل نظرة ـــ بدت غامضة ـــ مع رفاقه ، قبل أن يجيب فى هدوء :

ـــ الكثير أيها المأمور .. يمكننا أن نفعل الكثير ، إذا ما لقينا المعاونة اللازمة .

اعتدل (چاك) ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـــ أية معاونة ؟

بدا صوت (نور) أكثر عمقًا وحزمًا ، وأقلّ هدوءًا ، وهو يجيب :

ـــ معاونة الجميع بلا أسئلة أو استفسارات .. وبهذا وحده سنصدّ هجوم شيطان الغروب ، وشيطان العصور ..

* * *



٣ ـ ليلة الشيطان ..

تصبّب حدّاد المدينة عرقًا ، على الرغم من برودة الطقس ، مع مغيب الشمس ، وهو يناول (محمود) آخر قطعة طلبها ، وهو يغمغم فى ريبة وحَيْرة :

ـ إنها الأخيرة .. ولكننى لست أفهم ما تساويه .. إنكم تصنعون أشياء عجيبة ، وقطعًا معدنية غير متناسقة ، لست أصدّق أبدًا أنه يمكنها صدّ شيطان ، كالذى يتحدثون عنه .

ابتسم (محمود) ، وهو يقول :

ـ سيدهشك ما يمكن أن تفعله تلك القطع المعدنية غير المتناسقة ، حينما يتم إضافة بعضها إلى بعضها الآخر .

جلس الحدّاد يراقب (محمود) فى حَيْرة ، وهو يضيف القطع المعدنية بعضها إلى بعض فى سرعة ومهارة ، ويصنع منها جهازًا عجيب الشكل ، ثم لم يلبث أن سأله فى توتر :

ـ ما هذا الشىء ؟

أجابه (محمود) فى بساطة :

ـ مدفع ليزر .

هتف الحدّاد فى دهشة :

ـ مدفع ماذا ؟!

ابتسم (محمود) ، وهو يقول :

ـ نوع من الأسلحة يا صديقى ، ستبتكرونه أنتم بعد مائة عام من الآن ، وسنعمل نحن على تطويره بعد ذلك بمائة عام أخرى .

هزّ الحدّاد رأسه ، وهو يتمتم فى استنكار :

ـ يا له من جنون !!

ثم أردف فى سخط ، وهو يهم بارتداء ثيابه :

ـ شيطان هناك ، وثلة من المجانين هنا .. أية ليلة هذه ؟!

فى نفس اللحظة كان صانع الزجاج فى المدينة الصغيرة يناول (سلوى) بضع عدسات مختلفة الأحجام ، وهو يقول فى حَيْرة :

ـ هاهى ذى ، نفس المقاييس والقوى التى طلبتها يا سيدتى ، وإن كنت أجهل فيم يستخدم كل هذا !!

غمغمت وهى تفحص العدسات فى اهتمام :

ـ يستخدم فى صنع سلاح قوى ، سيوقف شيطان الغرب هذا عند حدّه .

تمتم الرجل فى حَيْرة :

ــ سلاح من بضع عدسات ؟!

أجابته فى هدوء ، وهى تحمل العدسات ، وتهمّ بالانصراف :

ــ ليست وحدها بالطبع .. ستوضع فى الجهاز ، الذى يصنعه (محمود) الآن عند حدَّاد المدينة ، وسنضيف إليها ياقوتةً خاصَّة من فقاعتنا الزجاجية و .....

هتف الرجل مقاطعًا إياها فى دهشة :

ــ فقاعتكم الزجاجية ؟!

ارتبكت وهى تغمغم :

ــ أعنى من حقيبة خاصَّة أُحضرناها معنا .

عقد الرجل حاجبيه ، وهو يغمغم فى ريبة وتوتُّر :

ــ من أنتم يا سيِّدتى ؟.. من أين جئتم ؟

تضرَّج وجهها بحُمرة خفيفة ، وهى تقول :

ــ دَع كل هذا لما بعد يا سيِّدى .. شكرًا لمعاونتك فى صنع العَدَسات .. إننى مضطرة للحاق برفاق الآن ، وسأجيب عن أسئلتك فيما بعد .

وأسرعت تنصرف ، تاركة الرجل فى حَيْرة من أمره ، وهو يتمتم فى انفعال .

ــ يا لَها من ليلة !!.. يا لها من ليلة !!

وهناك ، فى حجرة مكتب المأمور ، كان (هيوستون) يجلس صامتًا متبرِّمًا ، عاقدًا ساعديه أمام صدره ، فى حين كان (رمزى) يقول لـ (نور) والمأمور فى اهتمام شديد :

ــ إنه رجل عجيب ، مصاب بمزيج من النرجسية ، وحب الظهور والشعور بالعظمة ؛ لذا فسيلجأ إلى أكثر الوسائل عنفًا وضجيجًا ؛ لاحتلال المدينة ، وسيحاول أن يبهر الجميع ، ليضمن خوفهم منه ، وخضوعهم التام له .

سأله (نور) :

ــ هل تظن أنه سيباغتنا بالهجوم ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ــ بل سيعمد إلى إنذار المدينة أوَّلًا ، ومطالبتها بالاستسلام ، وهو يعلم أنهم سيرفضون ، وسيحاولون المقاومة ، مما يمنحه فرصة استعراض أسلحته وتفوُّقه ، وإبهار الجميع .. إنه يعدّ لهم ليلة رُعْب .

هتف المأمور (جاك) فى توتُّر :

ــ كيف يمكنك أن تجزم بذلك ؟

أجابه (رمزى) فى صرامة :

ـ إننى طبيب نفسىّ .

حَدجَه (نور) بنظرة صارمة ، ولاحت الدهشة والحَيْرة فى عينى (چاك) و (هيوستون) ، فى حين استدرك هو فى سرعة :

ـ أعنى أننى أجيد فهم مثل هؤلاء الأوغاد .

تمتم (هيوستون) فى سخط :

ـ هُراء .

عقد (رمزى) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ـ هل تراهن ؟.. إنه سيرسل (كاسيدى) أوَّلًا و ....

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع صوت (كاسيدى) ، وهو يقول فى صرامة ، عَبْر مكبِّر صوْتِىّ ، لم يتم اختراع مثله بعد فى الغرب :

ـ استمعوا إلىَّ يا مواطنى (بلاك ستون) .. أنا (كاسيدى) .. حاكمكم الجديد ، أطالبكم جميعًا بالاستسلام ، وإلَّا حاق بكم غضب شيطان الغرب ، وأمهلكم خمس دقائق فحسب لاتخاذ القرار ، وإلَّا فالرُّعب والدَّمار .. كل الرعب والدمار لكم .

هتف (هيوستون) فى توتُّر :

ـ من أين أتى بهذا الصوت الرهيب ؟

أجابه (نور) فى بساطة :

ـ إنه يستخدم (ميكروفونًا) .

قبل أن يسأله أحدهما عمَّا يقصده بذلك المصطلح ، دفع (نور) الباب ، وغادر حجرة المأمور ، ووقف خارجها منتصبًا شامخًا ، وهو يقول فى حزم وصرامة ، وبأعلى طبقة صوتية يمكنه أن يصرخ بها :

ـ الإجابة سلبية يا لصَّ البنوك .. لن تستسلم (بلاك ستون) أبدًا .. إننا سنقاتل .. سنقاتل إلى النهاية .

جاءت الإجابة على هيئة ضحكة ساخرة مخيفة ، أثارت رُعب الجميع ، وحملت صوت الدكتور (خالد رضوان) ، الذى قال بصوته المخيف الساخر :

ـ فليكن .. ما دام هذا هو قراركم النهائى ، فليعدّ كل منكم نفسه لليلة الشيطان .

وفجأة .. تألق جواد فى مدخل المدينة ، وأضاء على نحو مخيف مثير ، وصهل بصوت بلغ آذان الجميع ، وظهر فوقه فارس يرتدى ثوبًا مضيئًا ، ثم برز فجأة جناحان على جانبى الجواد ، وارتفع براكبه إلى سماء المدينة ، لتبدأ ليلة الرُّعب .. ليلة الشيطان ..

* * *

٤ ــ القتــال ..

مرأى الجواد المضىء الطائر وحده ، كان يكفى لِملْء قلوب الجميع بالخوف ، وأشعة الليزر التى انطلقت من عينى الجواد ، وفوَّهة مسدَّس (خالد) ، والتى حطَّمت خزَّان المياه بالمدينة ، وأشعلت فيه النيران ، كانت تكفى لتحطيم روح المقاومة فى قلوب ونفوس الجميع ..

إلَّا (نور) وفريقه ..

لقد اندفع (نور) يَعْدُو نحو المنطقة ، التى نصب فيها (محمود) مدفع الليزر ، وصاح به فى انفعال :

ــ هل انتهيت من إعداده ؟

هتف (محمود) فى توتُّر :

ــ ليس بعد .. أمامى دقيقتان على الأكثر .

صاح (نور) فى الجميع :

ــ أطلقوا رصاصاتكم .. إننا نحتاج إلى دقيقتين فحسب .

ولم يسمعه أحد وسط صراخ الرُّعب والفزع ، وإن أخذ

الرجال يطلقون رصاصاتهم من منطلق آخر .. دفعهم إليه يأسهم .. ورغبتهم فى بذل آخر أنفاسهم لحماية مدينتهم ، وزوجاتهم ، وأطفالهم ..

لحماية مستقبلهم ..

وكانت حقًّا ليلة الشيطان ..

لقد حطَّمت أشعة (خالد) الليزريَّة نصف منازل المدينة ، وأشعلت فيها النيران ، وحام جواده الإليكترونى المجنَّح فوق رءوس الرجال ، فألقى فى قلوبهم الرُّعب والفزع ..

و (محمود) يعمل جاهدًا ؛ للانتهاء من إعداد مدفع الليزر ..

أما (هيوستون) ، فقد صرخ فى ألم ومرارة :

ــ هل رأيت أيها المأمور (چاك) ؟.. إنهم لم يفعلوا شيئًا لصدّ الغزو .. لقد خدعونا جميعًا .. ها هو ذا الشيطان يحيل مدينتنا إلى جحيم مستعر ، دون أن يتحرَّك أحدهم .

هتف (چاك) فى توتُّر :

ــ إنهم لم ينتهوا من إعداد جهازهم يا (هيوستون) .. إنهم يبذلون أقصى جهدهم و ....

قاطعه (هيوستون) صارخًا :

ــ جهازهم ؟!.. هل صدّقت هذه المزاعم ؟.. نعم.. لقد صدقتموهم .. لقد صدقتموهم جميعًا .. إلّا أنا .. أنا وحدى كنت أشك فى أمرهم منذ البداية .

واكتسى صوته وملامحه ببغض هائل ، وغضب عنيف ، وهو يستطرد :

ــ لقد انتهت المدينة .. لقد انتهينا جميعًا .. قد لا يمكننى قتل الشيطان ، ولكننى سأقتل أعوانه .

وأردف فى صرخة هائلة :

ــ سأقتلهم جميعًا .

واندفع نحو (نور) و (محمود) ، اللذين انهمكا فى إعداد مدفع الليزر ، وهو يصرخ فى جنون :

ــ سأقتلهم .. سأقتلهم جميعًا .

وأطلق رصاصة مسدّسه نحو رأس (نور) ..

* * *

انتهى (محمود) من إعداد المدفع الليزرىّ ، والتفت إلى (نور) يهتف فى انفعال :

ــ لقد انتهيت يا (نور) .. يمكنك استخدامه الآن و ....

وفجأة .. رأى (هيوستون) يندفع نحوهما ، ومسدسه مشهور نحو رأس (نور) ، فبتر عبارته ليصرخ فى ذُعْر :

ــ احترس يا (نور) .

انحنى (نور) ، وقفز جانبًا بحركة غريزية ، وانطلقت رصاصة (هيوستون) ، ومرقت فوق رأسه تمامًا ، واستقرّت فى كتف (محمود) ، الذى صرخ فى ألم ، وسقط إلى جوار مدفعه ، فى حين التفت (نور) إلى (هيوستون) ، وصاح به فى غضب وصرامة :

ــ ماذا فعلت أيها الأحمق ؟

صاح به (هيوستون) فى جنون :

ــ أنتم أعوان الشيطان .. لقد خدعتم الجميع ما عداى .. سأقتلكم .. سأقتلكم جميعًا .

لم يكن هناك وقت للمحاورة والنقاش ..

كان الشيطان يحلّق فوق رءوس الجميع ، ونيرانه تنصبّ على كل شىء ، ومحمود مصاب ، و (سلوى) و (رمزى) يختبئان فى مكان معرَّض لهجوم (خالــــد) الشرس ، و (هيوستون) يصوِّب مسدّسه إلى (نور) ..

ولم يكن هناك خيار ..

وقفز (نور) جانبًا فى حركة سريعة ، ثم انقضّ على (هيوستون) ، الذى أطلق رصاصة ثانية ، شعر بها (نور) تمرق إلى جوار أذنه ، قبل أن يلتحم مع (هيوستون) ، ويقبض على معصمه فى قوّة ، يمنعه من مواصلة إطلاق النار ، وهو يصرخ به :

ـ كَفَى يا (هيوستون) .. إنك تفسد كل شىء .

صرخ (هيوستون) ، وهو يحاول التملّص من قبضة (نور) :

ـ أنتم الذين تفسدون كل شىء .. أنتم أعوان الشيطان ، وينبغى أن أقتلكم جميعًا .. جميعًا ..

وعلى متن جواده الإليكترونى المجنّح ، لمح (خالد) ذلك الصراع ، وشعر بالدهشة !!..

ـ لماذا يتقاتل رجلان ، من المفروض أنهما يواجهان خطرًا واحدًا مشتركًا ؟..

وفجأة .. اتضح له كل شىء ..

لقد تذكّر ذلك الصوت ، الذى أجاب الإنذار ..

إنه صوت (نور) ..

كيف لم ينتبه إلى ذلك فى حينه ؟..

لقد حجبت عنه نشوة التفوّق ذلك ..

وانعقد حاجباه فى سخرية وشماتة وصرامة ..

إذن فها هو ذا (نور) .. قائد فريق القرن الحادى والعشرين ..

ها هو ذا تحت رحمته ..

المطاردة ستنتهى هنا ..

والنصر يبدأ هنا ..

وصرخ (خالد) فى نشوة :

ـ الوداع يا رائد القرن الحادى والعشرين .. الوداع .

ودوّت ضحكته الساخرة وسط الرُّعب والدّمار ، وهو ينقضّ على (نور) بجواده المجنّح ، فى نفس اللحظة التى دفع فيها (هيوستون) (نور) عنه ، وهو يصرخ :

ـ ابتعد أيها الجاسوس .. لن تفلت من مصيرك أبدًا ..

ورأى (نور) مسدّس (هيوستون) المصوَّب إلى صدره ..

ولم ير الجواد المجنّح ، الذى ينقضّ على ظهره براكبه الشيطانىّ ..

وانحنى (نور) ليتفادى رصاصة (هيوستون) ، وتفادى ـ بلا وَعْى ـ أشعة الليزر القاتلة ، التى انطلقت من عينى

وانحنى (نور) ليتفادى رصاصة (هيوستون) ، وتفادى ـ بلاوَعْى ـ أشعة الليزر القاتلة ..

الجواد الإليكترونى ، ونفذت من صدر (هيوســــون) المسكين ، الذى أطلق صرخة مدوِّية ، قبل أن يسقط جثّة هامدة ، فى نفس اللحظة التى حلّق فيها الجواد فوق رأس (نور) ، وارتفع عاليًا ..

واستدار الجواد ، بناءً على توجيه قائده ، ليعاود انقضاضه على (نور) ..

ورأى (نور) الجواد المجنّح ينقضّ عليه ، وعلم أنه صار هدفًا لشيطان العُصُور ..

وبدا أنها النهاية ..

* * *



٥ ــ على طريقة الغرب ..

من المعروف أن رجال المخابرات العلمية المصرية ، فى القرن الحادى والعشرين ، يتلقَّوْن تدريبات خاصة مكثَّفة ، تجعلهم يبزُّون أقرانهم دومًا ، فى كل أجهزة المخابرات فى العالم أجمع ..

وجزء من هذه التدريبات يعتمد على حسن التصرُّف ، فى المواقف العصيبة ، وسرعة اتخاذ القرار ، فى لحظات قد يكون الحدّ الفاصل بين الحياة والموت فيها هو جزء من الثانية ..

وهكذا كان موقف (نور) فى تلك اللحظة ..

(خالد رضوان) ينقضّ عليه بجواده المجنَّح ، والموت يطلّ من فوَّهة مسدَّسه ، ومن عينى جواده الإليكترونىّ ، والنيران تشتعل من حوله فى نصف مساكن المدينة الصغيرة ..

وصرخت (سلوى) ، حينما أدركت حقيقة الموقف ، واتسعت عينا (محمود) ، المصاب برصاصة فى كتفه ، فى ذعر ، وهتف (رمزى) :

ــ يا إلٰهى !!.. (نور) !!

وبدا (خالد) فى أعينهم جميعًا ، فى تلك اللحظة ، أكثر شبهًا بالشيطان ، وهو يندفع نحو (نور) وسط النيران المستعرة ..

ولكنّ (نور) تحرَّك فى سرعة تليق برجل مخابرات علميَّة مِصريَّة ..

قفز من مكانه ، وانطلق يَعْدُو نحو مِدفع الليزر ، والأشعة القاتلة تلاحقه ، وتذيب الرمال خلف أقدامه الواثبة ، و (خالد) يصرخ فى ظفر جنونى :

ــ لقد ظَفِرْت به .. لقد ظَفِرْت به ..

وبقفزة ماهرة رشيقة ، وصل (نور) إلى مِدفَع الليزر ، وبجرأة وشجاعة وثبات ، أدار فوَّهته نحو الجواد الإليكترونى المجنَّح ، وأطلق الأشعة ..

وكان الذهول هذه المرَّة من نصيب (خالد رضوان) ..

لم يكن يتصوَّر ، أو يتوقَّع أبدًا ، أنه سيواجه بمدفع ليزرىّ ، فى القرن التاسع عشر ..

ولقد أصابت أشعة المدفع الليزرىّ جواده الإليكترونى ، ومرقت من صدره إلى ذيله ، وحطمته تحطيمًا ..

وخبا بريق الجواد ، وهوى براكبه أرضًا ..

وتحطّم ..

ومن حسن حظ (خالد رضوان) ، أن جواده كان على ارتفاع خمسة أمتار فقط ، حينما أصابته دفقة الليزر ؛ لذا فقد نجا (خالد) من الموت ..

وساد السكون المدينة كلها ، وحدّقت كل العيون فى ذُعر وانبهار ..

لم يصدّق سكّان (بلاك سعون) أن الشيطان قد هَوَى ..

لم يصدّقوا أن حزمة من الضوء ، انطلقت من قطع حديدية غير متناسقة ، وبضع عدسات ، أسقطت الشيطان الذي أثار رعب الجميع ..

وران الصمت والسكون ، إلّا من فرقعة الأخشاب المحترقة ، ووهج النيران المتأجّجة ..

وفجأة .. ارتفعت فوّهات بنادق الجميع نحو الشيطان ..

وانطلقت مئات الرصاصات نحو هدف واحد ..

* * *

ماحدث فى اللحظة التالية أعاد إلى الجميع رُعْبَهم ويأسهم ..

لقد أصابت رصاصاتهم كلها هدفها ، وارتدّت عنه ، كما

لو كانت ترتدّ عن حائط من الفولاذ ، وصاح (خالد) فى غضب :

ــ أيها الأغبياء .. ألم تفهموا بعد ؟ .. لن يمكنكم قتلى أبدًا .

تراجع الجميع رُعبًا وذهولًا ، وعادت فُوّهات البنادق تنخفض فى يأس ، فى حين انتصبت قامة (نور) ، وهو يتقدّم نحو (خالد) ، قائلًا فى هدوء صارم :

ــ لا تبالغ فى تبجحك يا وغد القرن الخامس والثلاثين .. إنك بشر مثل الجميع ، كل ما فى الأمر هو أنك تحيط جسدك بمجال كهرومغناطيسى قوىّ ، ترتدّ عنه الرّصاصات ، ولكنه لن يصمد أمام دفقة من أشعة الليزر .

عقد (خالد) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ــ هل ستقتلنى بمدفع ليزرىّ أيها الرائد (نور) ، يا عَدُوَّ العُنْف والدَّمار ، كما تقول عنك كتب التاريخ ؟

غمغم (نور) فى هدوء :

ــ إننى لم أقل هذا .

هتف (خالد) فى حِدّة :

ــ إن (أمريكا) شاسعة متسعة .. كيف علمتم أننى سأكون فى (بلاك سعون) بالذات ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول فى بساطة :

ـــ استنتاج محض أيها الوغد .

ثم استطرد بابتسامة ساخرة :

ـــ إنك تسعى للثروة والسيطرة ، ومن الطبيعى أن تتجه إلى أكبر مصادرهما فى (أمريكا) .. هل تعلم لماذا سُمِّيت هذه المدينة باسم (بلاك ستون) ؟.. لأن البترول الذى يفيض فى أعماقها ، يتسلَّل أحيانًا إلى سطحها ، فيصبغ حجارتها بلونه الأسوَد ، ومن هنا جاء اسم البلدة .. (بلاك ستون) .. أى (الحجر الأسود) .. وكتب (الجيولوچيا) ـــ علم طبقات الأرض ـــ القديمة تقول إن الجبال المحيطة بـ (بلاك ستون) كانت أكبر مصدر للذهب واليورانيوم ، حتى النصف الأوَّل من القرن العشرين ، ومن الطبيعى أن تتجه إليها بحثًا عن الذهب ، والبترول ، واليورانيوم .

عقد (خالد) حاجبيه ، وهو يقول فى سخط :

ـــ من الواضح أنك حقًّا عبقرىٌّ أيها الرائد ، كما تقول عنك كتب التاريخ ، ولكننى سأبدِّل التاريخ أيضًا .. سأقتلك هنا ، وليس فى (مصر) كتاريخك .

ابتسم (نور) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ إذا كانت كتب التاريخ تؤكِّد أننى سأموت فى (مصر) ، فهذا يعنى أننى لن ألقى حتفى على يديك هنا أيها الوغد ، أمَّا تاريخك أنت ، فلا يشير إلى لحظة ومكان موتك .

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :

ـــ وكيف ستقتلنى أيها الرائد ؟.. أنت تعلم أن المجال الكهرومغناطيسى الذى يحيط بى ، سيمنع رصاصاتك من الوصول إلى جسدى ، ثم إنك قد ابتعدت عن مدفعك الليزرىّ ، ولن أسمح لك بالعودة إليه أبدًا .

ابتسم (نور) ساخرًا ، وهو يقول :

ـــ إننى لا أحتاج إلى العودة إليه أيها الوغد .

وأشار إلى المسدَّس المعلَّق فى جرابه ، والذى يشبه تمامًا مسدَّسات الغرب القديم ، وهو يستطرد :

ـــ هذا المسدَّس البرىء المظهر ، الذى يبدو متناسقًا مع هذا العصر ، هو فى الواقع مسدَّس ليزرىّ ، وضعه رجال عصرك فى هذه الصورة ، التى لم أعلم أنا نفسى بها ، إلَّا حينما كنا نرتدى زِىّ الغرب .

هتف (خالد) فى حِدَّة :

ـــ هل تظن أننى سأترك لك فرصة التقاطه ؟

ابتسم (نور) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ إننا فى الغرب يا (خالد) .. وسنفعلها على طريقة الغرب .

عقد (خالد) حاجبيه ، وهو يقول فى ريبة :

ـــ ماذا تعنى ؟

فرد (نور) ساقيه ، وأدنى كفّه على مقربة من مقبض مسدّسه ، وهو يجيب :

ـــ سنتواجه يا وغد القرن الخامس والثلاثين .. سيقف كل منا فى مواجهة الآخر ، وسيعدّ المأمور حتى ثلاثة ، ثم يطلق كل منا أشعته نحو الآخر ، ومن ينجح فى التقاط مسدّسه أوّلاً يربح ، ويقتل الآخر .

ظلّ حاجبا (خالد) معقودين بعض الوقت ، ثم افترّ ثغره عن ابتسامة شرِسة ساخرة ، وهو يقول :

ـــ ولِمَ لا ؟

وتحرّك فى حَذَر إلى اليسار ، حتى أصبح فى مواجهة (نور) تمامًا ، وأدنى كفّه إلى مقبض مسدّسه بدَوْرِه ، وهو يستطرد فى صرامة :

ـــ ابدإ العدّ أيها المأمور .

تعلّقت أبصار سكان المدينة بهما ، وغمغمت (سلوى) فى توتّر :

ـــ ماذا يحاول (نور) أن يفعل ؟

ربّت (رمزى) على كتفها مطمئنًا ، وهو يقول :

ـــ لا عليكِ يا (سلوى) .. إن (نور) يعرف ما يفعل .

أومأت برأسها فى قلق ، وهى تغمغم :

ـــ أعلم ذلك ، ولكننى لا أستطيع أن أمنع نفسى من القلق .

ربّت على كتفها مرّة أخرى ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وفى عينيه تألّقت نظرة قلقة متوتّرة ، وهو يتطلّع إلى (نور) و (خالد) ، اللذين وقف كل منهما فى مواجهة الآخر ، فى حَذَر وترقُّب ، والمأمور ينقل بصره بينهما فى توتُّر وتردُّد ، حتى عاد (خالد) يقول فى صرامة :

ـــ ابدإ العدّ أيها المأمور .

تطلّع المأمور إلى (نور) فى حَيْرة ، فقال فى هدوء :

ـــ هيّا أيها المأمور .. ابدإ العدّ .

ران صمت تام على المدينة ، وتعلّقت كل العيون بالمتبارزَيْن ، فى حين بدأ المأمور (چاك) يغمغم فى توتُّر :

ـ واحد .. اثنان .. ثلـ....

وقبل أن يتمّ نطق الرقم الأخير ، التقط (خالد) مسدّسه ، وأطلق أشعة الليزر القاتلة ، نحو صدر (نور) ، صارخًا :

ـ مُتْ أيها الرائد .. مُتْ !!

* * *



٦ ـ الفرار الأخير ..

لجأ (خالد رضوان) كعادته إلى الخيانة والخداع ..

لقد سحب مسدَّسه قبل أن ينتهى المأمور من العدّ ، وأطلق أشعته الليزرية نحو صدر (نور) تمامًا ، ورأى الجميع الأشعة القاتلة ، وهى تتجه فى خط مستقيم نحو قلب (نور) ، وشهقت (سلوى) فى ذُعر ..

ثم حدث ما لم يتوقَّعه الجميع ..

حتى (خالد) اتسعت عيناه فى ذُعر وذهول ، حينما انحرفت أشعة الليزر فجأة ، واتجهت نحو دائرة معدنية صغيرة ، تبدو كحلية أنيقة فى حزام (نور) ، وتلاشت عندها تمامًا ..

وهتف (خالد) فى ذهول :

ـ ما هذا بحق الشيطان ؟!

نهض (محمود) فى ضعف ، ممسكًا بجرح ذراعه ، وهو يقول فى سخرية واهنة :

ـ مستقطب ليزرىّ بسيط يا دكتور (خالد) .. لا تقل



انحرفت أشعة الليزر فجأة ، واتجهت نحو دائرة معدنية صغيرة ، تبدو كحلية أنيقة فى حزام (نور) ، وتلاشت عندها تمامًا ..

إنك تجهله .. إنه اختراع تافه ، بالنسبة لمنجزات العصر ، الذى أتيت منه .

عقد (خالد) حاجبيه ، وهو يصيح غاضبًا :

ــ هذا خداع .. لقد كنت تعلم أن أشعتى لن تصيبك .

قال (نور) فى سخرية :

ــ وأنت وأنا كنا نعلم أنك لن تنتظر نهاية العدّ .

ظلّ وجه (خالد) يحمل الغضب لحظات ، ثم انفجر فجأة فى ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ــ لا بأس أيها الرائد .. لقد ربحت مع فريقك الجولة الثالثة أيضًا .

وبضغطة سريعة على القرص المستدير الصغير فى راحته ، تكوَّنت حوله تلك الفقّاعة الزجاجيَّة ، وهو يستطرد ساخرًا :

ــ ولكن جولتنا الرابعة ستكون الأخيرة أيُّها السَّادة .. إلى اللقاء فى (باريس) القرن العشرين .

وفى لمحة بصر ، اختفت الفقّاعة ، وانتقل الصراع إلى عصر جديد ..

* * *

انتهى الدكتور (داڤيد) من انتزاع الرّصاصة من كتف (محمود) ، وتضميد جراحه ، ومسح كفَّيه ، وهو يقول :

ـ من حسن حظك أنها لم تخترق العظم يافتى .. لقد نجوت .

تنهّد المأمور (چاك) ، وهو يقول :

ـ لقد نجونا جميعًا يا دكتور (داڤيد) ، خاصة بعد أن أوقعنا بذلك اللّص (كاسيدى) أيضًا .

ثم التفت إلى (نور) يسأله :

ـ كيف حدث كل هذا ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ لا تجعل هذا يقلقك أيها المأمور .. لن يمكننا أن نفهم كل ما يحدث حولنا .

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

ـ ولكنكم تفهمونه .

ابتسمت (سلوى) ، وهى تقول :

ـ ينبغى للبعض أن يفهم .. أليس كذلك ؟

تبادل المأمور والدكتور (داڤيد) نظرة حائرة قلقة ، ثم سألهم الدكتور فى قلق واهتمام :

ـ من أنتم ؟.. من أى عصر أتيتم ؟

رفع (نور) سبّابته أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ لا جواب يا دكتور (داڤيد) .

ثم أشار إلى رفاقه مستطردًا :

ـ هيَّا يا رفاق .. لدينا موعد فى (باريس) .

هتف المأمور فى دهشة :

ـ (باريس) ؟!.. إنها تبعد آلاف الأميال عن هنا .

ضحكت (سلوى) ، وهى تقول :

ـ فقط ؟!.. كنت أظنها تبعد ملايين السنوات الضوئيَّة .

هتف الدكتور فى دهشة :

ـ الـ.... ماذا ؟

ربَّت (نور) على كتفه ، وهو يقول :

ـ سيعرف أبناؤك هذا المصطلح أيها الطبيب ، وسيدرسونه فى مدارسهم الابتدائية ، وسيلهو به أحفادك .

هتف الطبيب فى انفعال ، جعل كلماته تبدو أقرب إلى اللهاث .

ـ هل .. هل أنتم من المستقبل ؟

اتسعت عيون الجميع فى دهشة ، وتبادلوا نظرات حائرة ، ثم ربَّت (نور) على كتف الطبيب ، وقال مبتسمًا :

ـ أنت رجل ذكىّ أيها الطبيب ، ولكنك تملك خيالًا جامحًا .

ثم اتجه مع رفاقه إلى الخارج ، بصحبة الطبيب والمأمور ، وهو يستطرد :

ـ كنا نحبّ أن نناقش معك هذا الرأى أيها الطبيب ، ولكننا سنضطر الآن للانصراف ، حتى يمكننا اللّحاق بموعدنا فى (باريس) .

سأله المأمور فى اهتمام وإخلاص :

ـ هل تحتاجون إلى جياد ؟.. سيسعدنى أن ....

قاطعته (سلوى) ، وهى تقول مبتسمة :

ـ شكرًا أيها المأمور .. إنهم لا يستخدمون الجياد حيث سنذهب ..

وفى هدوء .. ضغط (نور) القرص الصغير ، فظهرت الفقّاعة الزجاجيّة فجأة وسط ساحة منزل الطبيب ، الذى تراجع مع المأمور فى ذُعر وذهول ، وهو يهتف :

ـ يا للسماء !!

وفى هدوء تقدّم (نور) ورفاقه إلى داخل الفقاعة، ولوّحوا بأيديهم للطبيب والمأمور، ثم اختفت بهم الفقّاعة فجأة..

وبقى المأمور والطبيب طويلًا مفغورى الفاه ، جاحظى الأعين فى ذهول ، قبل أن يهتف الطبيب :

ـ إنهم من المستقبل .. من المستقبل ولا شك .

أمسك المأمور ذراعه فى قوّة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لا تفه بحرف واحد من هذا أيها الطبيب .. لا ينبغى لأىّ منا أن يشير إلى ما حدث هنا ، وإلّا فقدت (بلاك ستون) أمنها ، وتوافد عليها الآلاف من الباحثين عن الذهب ، ورجال العلم والتاريخ .. صدّقنى .. من الأفضل أن يبقى ما حدث فى (بلاك ستون) سِرًّا دفينًا ، لا يتجاوز أفواه سكّانها أبدًا .

عقد الطبيب حاجبيه مفكرًا بعض الوقت ، ثم غمغم :

ـ أنت على حقّ .

واستدرك فى لهفة :

ـ ولكننى سأخبر صديقى (چورج ويلز) فى (كنت) بـ(إنجلترا) .. إن ولده (هربرت)(*) يهوَى مطالعة قصص (جولى فيرن) الخيالية العلمية ، وسأبلغه بهذا الحدث ، كما لو كان مجرَّد فكرة لقصة خيالية علمية جديدة ، وأنا واثق من أن (هربرت چورج ويلز) ، ذا الأربعة عشر ربيعًا ، سيجد فيها متعة كبيرة ، وفكرة لقصة جديدة .

وعاد يعقد حاجبيه فى صرامة ، مستطردًا :

ـ أمّا نحن ، فلننس كل هذا .. فلننسه تمامًا .

* * *

(*) هربرت چورج ويلز : (١٨٦٦ ـ ١٩٤٦م) من كبار مؤلفى قصص الخيال العلمى فى أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين .. من أهم مؤلفاته (حرب العوالم) .. (أوّل من وصل إلى القمر) و ... (آلة الزمن) .

٧ ــ باريس .. المقاومة ..

ارتجف صوت (سلوى) ، وهى تتطلَّع إلى برج (إيفل) ، وغمغمت فى صوت بالغ الخفوت :

ــ (نور) .. لم أكن أتصوَّر أننا سنصل إلى (باريس) ، فى هذا الزمن بالذات .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى همس :

ــ تماسكى يا (سلوى) .. إننا نحتاج إلى كل قوانا ؛ لنعثر على غريمنا هنا .

غمغم (رمزى) :

ــ صدِّقنى يا (نور) .. أنا أيضًا أرتجف .

وتلفَّت (محمود) حوله ، وهو يقول فى توتُّر :

ــ التاريخ يقول إن هذه هى أبشع حقبة عاشتها (باريس) ، و (فرنسا) كلها ، منذ أوج الثورة الفرنسية .

ثم أشار إلى علم يتدلَّى بطول بناية كاملة ، ذى لون أحمر قانٍ ، تتوسَّطه دائرة بيضاء ، تحمل صليبًا أسود معقوفًا ، مستطردًا :

ــ حقبة الاحتلال النازىّ .

سار الأربعة متجاورين ، فى معاطفهم الواقية ، تحت المطر ، عَبْر شوارع (باريس) ، التى يعلن كل ركن فيها عن السيطرة النازيَّة ، التى بلغت أوجها عام ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين ، وبينما كانوا يجتازون أحد الشوارع الواسعة ، حدَّقت فى وجوههم فتاة فرنسيَّة شقراء ، بعينيها الزرقاوين فى ذُعر ، ثم اقتربت منهم فى خطوات سريعة ، واصطدمت بـ (سلوى) على نحو بدا عفويًّا ، واعتذرت بلغتها الفرنسية الرقيقة ، قبل أن تهمس فى توتُّر :

ــ ماذا تفعلون هنا بحق السماء ؟.. ألا تخشون الوقوع فى أيدى (الجستابو) ؟(*)

تبادلوا نظرات الدهشة ، قبل أن يسألها (نور) :

ــ وما شأن (الجستابو) بنا ؟.. إننا مواطنون فرنسيُّون و ....

عقدت الشقراء الفرنسية حاجبيها فى غضب ، وهى تقول :

ــ لا دَاعِى للموارَبة .. لست جاسوسة لهم .. إننى باريسية مخلصة .

(*) الجستابو : الشرطة الخاصة للحزب النازى ، فى عهد الرايخ الثالث .. اشتهرت فى عهد قائدها (هتلر) بالقسوة الشديدة فى استجواب الأسرى ، وانتزاع المعلومات بأى ثمن .

سألها (رمزى) فى توتُّر :

ــ ماذا تعنين ؟

هتفت فى صوت خافت :

ــ لا داعِىَ لإضاعة الـــوقت .. إن صُوَركم تملأ كل الطرقات .. إنهم يضعون مكافأة ضخمة ثمنًا لكم .. هيَّا .. اتبعونى .

تبعها الجميع فى خطوات سريعة ، وهم يتساءلون عمَّا تعنيه كلماتها ، حتى وصلوا إلى حانة مغلقة ، دقَّت الفرنسية بابها ثلاث دقَّات بطيئة متتابعة ، وهى تتلفَّت حولها فى قلق ، حتى فُتح باب الحانة ، فاندفعت داخلها ، وهى تقول :

ــ هيَّا ..

تبعها (نور) ورفاقه فى سرعة ، ثم أسرع الفرنسى القصير ، الأصلع الرأس ، الذى فتح الحانة ، يغلقها فى سرعة ، وهو يسأل الفرنسية :

ــ ماذا هناك ؟

خلعت معطفها ، وأشارت إلى أفراد الفريق ، وهى تقول :

ــ لقد أحضرت لك هدية يا (چان بول) .

تطلَّع (چان بول) إلى وجوه (نور) ، و (سلوى) ، و (رمزى) ، و (محمود) فى دهشة ، ثم هتف :

ــ يا إلهى !! .. من أين أتيت بهم ؟

زفرت قبل أن تقول :

ــ لقد كانوا يجوِّلون بالقرب من هنا .

اتسعت عينا (چان بول) ، وهو يهتف :

ــ يجوِّلون ؟!

ثم عقد حاجبيه ، مستطردًا فى سخط :

ــ هل يئستم من الحياة إلى هذا الحد ؟

سأله (نور) فى هدوء :

ــ منذ متى طلب النازيون إلقاء القبض علينا ؟

هتفت الفرنسية :

ــ منذ متى ؟! .. هل جئتم من عالم آخر أيها السادة ؟ .. إن صوركم تملأ الطرقات منذ عامٍ كاملٍ .

تبادل (نور) وفريقه نظرات دهشة عارمة ، ثم سألها (رمزى) :

ــ أأنتما واثقان من أنها صورنا نحن ؟

مطَّت الفرنسية شفتيها ، قائلة :

ـ يا للسخافة !!

ثم اتجهت إلى بار الحانة ، والتقطت من درج سرّىّ فيه بضع لافتات ، ناولتها لهم مستطردة :

ـ ها هى ذى الصور .. ما رأيكم ؟

اتسعت عيون الجميع فى دهشة ، وهم يتطلّعون إلى صُوَرهم ، التى لا تقبل الشك ، والتى تحمل كلمات فرنسية وألمانية تؤكد خطورتهم ، وضرورة إلقاء القبض عليهم .

وغمغم (محمود) فى حَيْرة :

ـ كيف تم إعلان ذلك منذ عام كامل ، ونحن لم نصل إلى (باريس) قبل اليوم .

أجابته الفرنسية فى سخرية :

ـ لا أحد يمكنه أن يجيب هذا السؤال سواكم أيها السادة .

ثم ابتسمت مستطردة :

ـ ولكن مما لا شك فيه أننا زملاء كفاح ، ما دام النازيُون يطلبون رءُوسكم .

ران الصمت طويلًا ، قبل أن يسألها (نور) :

ـ هل يوجد بين قادة النازيين هنا رجل ممشوق القوام ، متين البنيان ، نافذ النظرات ، صارم الملامح ، هو الذى أمر بإلقاء القبض علينا ؟

تبادل (چان) نظرة حائرة مع الفرنسية ، وغمغم :

ـ ما الذى يعنونه يا (بريجيت) ؟

عقدت (بريجيت) حاجبيها ، وهى تقول فى شك :

ـ لست أُدرى .

ثم واجهت (نور) ورفاقه ، وهى تسألهم فى صرامة :

ـ لماذا يطلب النازيون رءوسكم أيها السادة ؟ .. إننا لم نسمع عن منجزاتكم فى مقاومتهم أبدًا .

غمغمت (سلوى) فى حَيْرة .

ـ نحن أيضًا لا ندرى .

فتحت الفرنسية فمها ، وهمَّت بقول شىء ما ، لولا أن قاطعتها طرقات قويَّة على الباب ، وصوت ألمانى صارم ، يقول بفرنسية ركيكة :

ـ (چستابو) .. افتحوا الباب .. سنفتش المكان .

شحب وجه (چان) ، وانعقد حاجبا الفرنسية فى صرامة ، وانتزعت من طيَّات ثوبها مسدَّسًا قويًّا .. صوَّبته إلى رأس (نور) ، وهى تقول فى غضب :

ـ لقد عرفت الآن من أنتم .. أنتم جواسيس للإيقاع بنا .. جواسيس يستحقُّون الموت .

* * *

واصل رجال (الجستابو) قرعهم لباب الحانة فى عنف ، فى حين جذبت الفرنسية إبرة مسدَّسها ، وهى تستطرد فى صرامة :

ـ لن نقضىَ وخذنا أيها السَّادة .. ستموتون برصاصات مسدَّسى أوَّلًا قبل أن ....

أوقفها (نور) بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

ـ مهلًا .. إننا نجابه خطرًا واحدًا ، ولا ينبغى لنا أن نتقاتل .

هتفت الفرنسية فى حَنَق ، مع تصاعد ضربات رجال (الجستابو) على باب الحانة :

ـ لا تواصل الخداع .

صاح (نور) فى صرامة :

ـ ولا تواصل أنت السخافة .. أنت من المقاومة الفرنسية .. أليس كذلك ؟

تطلَّعت إليه فى ريبة ، فى حين غمغم (جان بول) :

ـ إنها (برجيت) .. زعيمة المقاومة فى (باريس) .

هتف (نور) :

ـ تشرَّفنا بمعرفتها .. هل لديكم أسلحة هنا ؟

صاحت (برجيت) فى حِدَّة :



أوقفها (نور) بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :
ـ مهلًا ..! إننا نجابه خطرًا واحدًا ، ولا ينبغى لنا أن نتقاتل ..

ـــ أما زلت تواصل الـ .....

قاطعها (رمزى) :

ـــ لا وقت يا سيِّدتى .. إننا نحتاج إلى التعاون ؛ للفرار من هذا الموقف ، فرجال (الجستابو) لن يصبروا طويلا ، سينسفون الباب بعد قليل .

تردَّدت (برچيت) لحظات ، ثم حسمت أمرها ، وقالت فى حزم :

ـــ هناك خمسة مدافع رشَّاشة خلف البار .

أسرع (چان بول) يحضر المدافع الرشَّاشة ، وناولها إلى (نور) ورفاقه ، و (برچيت) ، واحتفظ لنفسه بأحدها ، فى حين أخرج (نور) من معطفه مسدَّسه الليزرىّ ، الشبيه بمسدَّسات الغرب ، وناوله لـ (سلوى) ، وهو يقول :

ـــ سيكون هذا أكثر فعالية يا عزيزتى .

لم يكد يتم عبارته حتى حطَّم رجال (الجستابو) باب الحانة ، وبدأت المعركة ..

* * *

٨ ـــ الجحيم النازىّ ..

جحيم رهيب اندلع داخل الحانة الصغيرة ..

جحيم من الرصاصات، والنيران والدُّخَان .. وخيط واحد من أشعة الليزر ..

لم تطلق (سلوى) سوى دفقة واحدة من مسدَّسها الليزرىّ ، ثم تجمَّدت أصابعها حول مقبضه ، حينما وجدت نفسها تقتل وتريق الدماء عمدًا ..

أما (نور) ، و (رمزى) ، و (محمود) ، و (برچيت) ، فقد قاتلوا فى شراسة ، دفاعًا عن حياتهم وحريتهم ..

ولقى (چان بول) مصرعه مع بدء القتال ..

وأصيب (نور) برصاصة فى ذراعه ، وأصيبت (برچيت) بأخرى فى كتفها ، ثم صاح (نور) فجأة فى صرامة ، وباللغة العربية :

ـــ سأقوم بهجوم خاصّ يا (رمزى) ، وسيعمل (محمود) على تغطيتى ، وحاول أنت و (سلوى) و (برچيت) أن تفروا من هنا .

التفت (رمزى) إلى (برچيت) ، وصاح بها :

ــ هل توجد وسيلة للفرار من هنا ؟

هتفت (برچيت) :

ــ نعم .. ولكننا نحتاج إلى من يغطِّى انسحابنا .

صاح (محمود) :

ــ اذهبوا إذن ، وسأغطِّى مع (نور) انسحابكم .

تردَّدت (برچيت) لحظة ، ثم قالت فى حزم :

ــ اتبعونى .

هتفت (سلوى) فى جزع :

ــ و (نور) ؟!

صاح بها (نور) فى صرامة :

ــ اذهبى .

واندفع (رمزى) و (سلوى) خلف (برچيت) ، إلى مخزن الحانة ، ودفعت (برچيت) المدفأة ، وهى تقول :

ــ هيَّا .. المخبأ هنا .. سندلف منه إلى ممرَّات الأنفاق السرِّيَّة للمقاومة و .....

صاحت (سلوى) فى هلع :

ــ هل نترك (نور) ؟

دفعتها (برچيت) داخل المخبإ ، وهى تقول فى صرامة :

ــ هيَّا .. لا وقت للحبِّ والبكاء .

وأغلقت المخبأ خلفهم فى إحكام ..

وفى نفس اللحظة شعر (محمود) بعقم المقاومة ، وأعداد المهاجمين تتزايد فى سرعة كبيرة ، فهتف فى جزع ، وهو يطلق آخر ما تبقى من رصاصات فى مدفعه الرشَّاش :

ــ استخدم مسدَّسك الليزرىّ يا (نور) .. ربَّما زاد هذا من فرصة نجاتنا .

غمغم (نور) فى حَنَق :

ــ إنه مع (سلوى) يا (محمود) .

هتف (محمود) فى ذُعر :

ــ يا إلهى !! .. لقد انتهينا إذن .

لم يكد يتم عبارته ، حتى نفدت ذخيرته ، فألقى مدفعه فى سخط ، مستطردًا :

ــ حتمًا .

أدرك (نور) على الفور أن مدفعه الرشاش لن يواصل الإطلاق طويلًا ، فتوقَّف عن إطلاق النار ، وهتف فى سخط :

ــ إننا نستسلم .

توقّف إطلاق النار من الجانب الآخر على الفور ، وارتفع صوت ألمانى صارم يقول :

ـــ اخرجوا من الحانة مرفوعى الأيدى ، وتقدّموا فى بطء شديد .

رفع الاثنان أيديهما فوق رأسيهما ، وغمغم (محمود) فى حنق ، وهو يتقدّم ـــ إلى جوار (نور) ـــ إلى الخارج :

ـــ كنت أفضّل الموت ، عن الوقوع فى أيدى (الجستابو) .

أجابه (نور) فى هدوء :

ـــ من يدرى يا (محمود) ؟.. ربّما كان بقاؤنا أحياء هو فرصتنا الأخيرة ، لاقتناص شيطان العصور هذا .

صوّب رجال (الجستابو) فوّهات مدافعهم الرشاشة إليهما ، حينما غادرا الحانة ، وأسرع بعضهم يفتشهما ، للتأكّد من أنهما لا يحملان أيّة أسلحة ، ثم تقدّم منهما ضابط من (الجستابو) ، بارد الملامح ، صارم النظرات ، يرتدى زيّه العسكرىّ الأسود ، وحول ذراعه اليسرى يلتف علم نازى صغير ، وتأملهما فى برود ، قبل أن يقول :

ـــ هل كنتما وحدكما ؟

أجابه (نور) بالفرنسية :

ـــ نعم ..

عاد الرجل يتأملهما مرة أخرى فى برود ، ثم قال فى بطء :

ـــ لقد أكّد مرشدنا أنه قد رأى الأربعة المطلوبين يدخلون إلى الحانة ، برفقة فرنسية يُشتبه فى أنها من المقاومة الفرنسية ، فأين الباقون ؟

غمغم (محمود) فى حِدّة :

ـــ يبدو أن مرشدكم هذا يحتاج إلى منظار طبّىّ ، فلم يكن هناك سوانا ، وصاحب الحان ، الذى لقى مصرعه بالداخل .

حدَجه ضابط (الجستابو) بنظرة صارمة ، قبل أن يقول فى غضب مكتوم :

ـــ لولا أن الجنرال (فريدريش) يصرّ على استجوابكما بنفسه ، لقطعت لسانك أيها الحقير .

ثم التفت إلى رجاله ، مستطردًا فى حزم :

ـــ خذوهما إلى بيت الثعالب[*] .. سنعرف كيف نرغمهما على الحديث هناك .

* * *

(*) بيت الثعالب : اسم كان يُطلق على مقر المخابرات الألمانية ، أو (الجستابو) ، فى زمن الحرب العالمية الثانية .

انخرطت (سلوى) فى بكاء عنيف ، وهى تقول فى لوعة :
ــ لقد تركنا (نور) خلفنا .. لقد تخلينا عنه .
صاحت بها (برچيت) فى صرامة غاضبة :
ــ كفَى .. إننى أكره البكاء فى زمن الحرب .
صرخت (سلوى) :
ــ إنه زوجى .
هتفت (برچيت) :
ــ كثيرات فقدن أزواجهنّ فى الحرب .. يكفيك أنه قد مات بطلًا .
ارتجف قلب (سلوى) للعبارة ، وعجزت عن النطق ، واكتفت بالتطلُّع إلى عشرات الوجوه ، من رجال المقاومة الفرنسية ، الذين يتطلّعون إليها ، وإلى (رمزى) فى شك وحَذَر ، وسالت الدموع الحارَّة من عينيها فى صمت ، فى حين اندفع أحد رجال (برچيت) إلى مخبإ المقاومة ، وهو يهتف :
ــ لقد ألقى رجال (الجستابو) القبض عليهما يا (برچيت) .
ارتجف قلب (سلوى) ، وهتفت فى أمل :
ــ أحياء ؟!

أومأ رجل المقاومة الفرنسىّ برأسه إيجابًا فى حماس ، وهو يقول :
ــ نعم .. أحياء .. لقد استسلما ، ووقعا فى يد ضابط (الجستابو) (كارل مانهايم) ، ولقد اصطحبهما إلى بيت الثعالب .
غمغمت (برچيت) فى جزع :
ــ يا إلٰهى !!
سألتها (سلوى) فى توتُّر شديد :
ــ ماذا يعنى هذا ؟
أجابتها (برچيت) فى عصبية :
ــ يعنى أن الموت كان أفضل لهما ، فبيت الثعالب هذا هو مقرّ (الجستابو) ، ومكتب المخابرات الألمانية فى الوقت ذاته ، و (كارل مانهايم) هذا هو أكثر ضباط (الجستابو) وحشية وساديَّة ، حتى أنهم يطلقون عليه لقب (الجزَّار) ، وهو لن يتوانى عن بتر أطراف زميليكما قطعة قطعة ، حتى يحصل منهما على ما يريد .
امتقع وجه (سلوى) ، وهى تغمغم فى رعب هائل :
ــ يا إلٰهى !! يا إلٰهى !!

وتردَّد صوت بكائها عَبْرَ الزمن .. وعَبْرَ العصور .

* * *

جلس (كارل مانهايم) خلف مكتبه الصغير ، يتطلَّع إلى وجهى (نور) و (محمود) فى برود ، قبل أن يسألهما فى هدوء مخيف :

ـــ ما علاقتكما بالمقاومة الفرنسية ؟

أجابه (محمود) فى حِدَّة :

ـــ لا علاقة لنا على الإطلاق .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (كارل) ، وهو يقول :

ـــ أدهشتنى يا فتى !!.. لا علاقة لكما بالمقاومة ، وعلى الرغم من ذلك فقد أطلقتما النار علينا ، طوال ربع ساعة كاملة ، وقاومتمانا مقاومة عنيفة !!

سأله (نور) فى برود :

ـــ هل لى أن أعلم جريمتنا بالضبط ؟

رفع (كارل) حاجبيه فى دهشة ، وقال فى سخرية :

ـــ جريمتكما ؟!.. ألَّا تعدَّان مقاومة رجال (الجستابو) جريمة ؟

قال (نور) بنفس البرود :

ـــ وإنما أعْنى الجريمة التى عُلِّقت بسببها صورنا فى كل مكان ، ووُضِعَتْ مكافأة كبيرة ثمنًا لنا .

عقد (كارل) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـــ هل تسخر من ذكائنا أيها الفرنسى الحقير ؟.. أنت وزميلك تعلمان لماذا كنا نبحث عنكما منذ عام كامل .

وضرب سطح قبضته براحته ، مستطردًا فى حِدَّة :

ـــ أنتما ، والرجل والمرأة الآخران زعماء المقاومة الفرنسية .

هتف (محمود) فى دهشة :

ـــ نحن ؟!

ثم استطرد فى حنق :

ـــ من أخبرك بهذا الهُرَاء ؟

نهض (كارل) من مقعده ، وعقد كفيه خلف ظهره ، واقترب من (نور) و (محمود) ، حتى وقف أمام هذا الأخير تمامًا ، وحدَّق فى عينيه بصرامة ، وهو يقول :

ـــ رجال (الجستابو) لا يعبثون يا فتى .. إننا نعلم عنكم كل شىء منذ عام كامل . ودعْك من محاولات الإنكار هذه .

وامتلأ صوته بمزيج من السخرية والجذل ، وهو يستطرد :

ـ حينما أنتزع أظفارك ، وأقتلع إحدى عينيك ، ستجد لديك ميلًا شديدًا لسرد كل ما تعرفه بالتفصيل و ....

قاطعه (محمود) غاضبًا :

ـ أيها الحقير .

هتف (نور) فى قلق :

ـ كفَى يا (محمود) .

إلَّا أن (محمود) استطرد فى حِدَّة وغضب :

ـ إن الحيوانات أمثالك يستحقون الموت .. أنتم جميعًا تستحقون هزيمتكم أمام الحلفاء .

أمسك (كارل) سترة (محمود) فجأة بقبضته ، وجذبه إليه ، وهو يقول فى غضب :

ـ لن تُهزم (ألمانيا) العظمى أيها الوغد .. لن تُهزم أبدًا .

شعر (نور) بالقلق ، وخشى أن يتمادى (محمود) ، فعاد يهتف به :

ـ كفَى يا (محمود) .

ولكن الغضب الذى شعر به (محمود) ، جعله يصيح فى وجه (كارل) فى شماتة :

ـ كم أحب أن أرى وجهك بعد أن يهبط الحلفاء هنا ، ويسترجعون (باريس) ، وبعد أن تستسلم ألمانيا كلها ، وينتحر (هتلر) و ....

اتسعت عينا (كارل) فى ذهول ، وصاح فى استنكار شديد :

ـ ماذا تقول ؟

ثم ضاقت عيناه الزرقاوين ، وامتلأتا بلهفة شديدة ، وهو يستطرد فى انفعال :

ـ يبدو أنك أكثر خطورة مما كنت أتصوَّر ، ومما يوحى به مظهرك الهادئ .. إنك تعلم الكثير .. تعلم ما يمكنه أن يُغيِّر مجرى الحرب تمامًا .

غمغم (نور) فى توتُّر :

ـ إنه لا يعلم شيئًا .. ما هى إلا كلمات ولَّدها الغضب .

صاح به (كارل) فى صرامة :

ـ إننى لم أطلب رأيك .

ثم عاد يجذب إليه (محمود) فى عنف ، مستطردًا فى انفعال :

ـ ما الذى تعرفه عن هبوط الحلفاء هنا يا فتى ؟



ثم التقط من فوق مكتبه مُدية ، رفع نصلها إلى عين (محمود) اليسرى ..

عقد (محمود) حاجبيه ، وقد أدرك ماتورَّط فيه ، وغمغم فى توتُّر :

ـ لست أعرف شيئًا .

ارتسمت على شفتى (كارل) ابتسامة شرسة ، وهو يقول :

ـ هكذا ؟!

ثم التقط من فوق مكتبه مُديةً ، رفع نصلها إلى عين (محمود) اليسرى ، قائلًا فى وحشية :

ـ إننى أعرف كيف أحلّ عقدة لسانك .

وأطلق ضحكة ساخرة ، مستطردًا فى صوت سادىّ مخيف :

ـ بعد أن أقتلع عينك .

واندفع نَصل مُديته نحو عين (محمود) ..

* * *

٩ ـ لقاء الشيطان ..

عقدت (برچيت) حاجبيها فى صرامة ، وحَدَجَت (رمزى) بنظرة شديدة الحزم ، قبل أن تقول فى حِدَّة :

ـ إذن فأنت تريد أن نخاطر بمهاجمة بيت الثعالب ؛ لإنقاذ زميلك .. أليس كذلك ؟

أجابها (رمزى) فى هدوء :

ـ بالضبط ، ولقد وضعت خُطَّة لذلك .

صاحت فى غضب :

ـ خطة ؟! .. أية خطة ؟! .. ألا تعلم ما هو بيت الثعالب .. إنه أكثر المناطق التابعة للنازيين حصانة .. إنهم يطلقون النار بلا تردُّد على من يقترب منه ، فما بالك بمن يحاول اقتحامه !؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (رمزى) ، وهو يقول :

ـ عجبًا !! .. كنت أظن رجال المقاومة شجعان .

صاحت فى حِدَّة :

ـ إنهم كذلك ، ولكنهم ليسوا مجانين .

تدخَّلت (سلوى) ، قائلة فى توتُّر :

ـ وما الجنون فى ذلك ؟ .. ألم تقوموا بتحطيم خط السكك الحديدية فى (مرسيليا) ؟ .. ألم تهاجموا معسكر تدريب ألمانى و ... ؟

قاطعتها (برچيت) فى حَنَق :

ـ اقتحام بيت الثعالب يختلف .

سألها (رمزى) فى اهتمام :

ـ كيف ؟

زفرت فى ضيق ، وتطلَّعت فى توتُّر إلى رجال المقاومة ، الذين وقفوا صامتين ، يتطلَّعون إلى ذلك الحوار فى اهتمام ، وهم يستندون إلى مدافعهم الرشَّاشة ، ثم قالت فى انفعال :

ـ هؤلاء (الجستابو) الملاعين يحيطونه بوسائل الأمن محكمة للغاية ، فلا يدخل إلى مقرِّهم إلَّا من يعتقلونه ، أو رجالهم ، أو زائروهم من كبار الجنرالات الألمان ، وفى الحالة الأخيرة يحتِّم أسلوبهم الاتصال بهم ، قبل موعد الزيارة بأربعة وعشرين ساعة على الأقل ، وتحديد اسم الزائر ورتبته ، والغرض من الزيارة ، ويتمّ ذلك عن طريق موجة لاسلكية سرِّيَّة ، لم ننجح فى كشفها بعد ، وبعد أن يتم إبلاغهم ،

يتصلون هم بمصدر الإبلاغ ، ويتأكَّدون من صحة الرسالة .

وبعدها يمكن للزائر الذهاب إليهم .

عقدت (سلوى) حاجبيها فى تفكير ، وهى تغمغم :

ــ إذن فالعقدة تكمن فى معرفة تلك الموجة السِّرِّيَّة .

مطَّت (برچيت) شفتيها ، وهى تغمغم :

ــ هذا أحد التعقيدات الشديدة ولا شك .

تبادلت (سلوى) نظرة خاصَّة مع (رمزى) ، حملت الكثير من الأمل ، قبل أن تقول فى لهفة :

ــ حسنًا يا (برچيت) .. فى هذه الحالة سأحتاج إلى بعض أجهزة اللاسلكى .

سألتها (برچيت) فى دهشة :

ــ لماذا ؟!

تنهَّدت (سلوى) ، قبل أن تجيب فى حماس :

ــ سأحطِّم الأسطورة .. سأُمهِّد لكم الطريق إلى بيت الثعالب .

* * *

كان من المستحيل أن يقف (نور) ساكنًا ، و (كارل) يقتلع عين زميله (محمود) بنَصل مُديته ..

صحيح أنه كان هناك خمسة من الجنود الألمان ، يصوِّبون إليه فُوَّهات مدافعهم الرشَّاشة ، ولكن هذا لم يكن ليعوقه عن إنقاذ زميله ..

إنه لم يكد يرى (كارل) ، وهو يدفع نصل مديته نحو عين (محمود) ، حتى انقضَّ عليه بلا تردُّد ، فأمسك بمعصمه ، يمنع المدية من مواصلة طريقها ، ثم لكم (كارل) بكل ما يملك من قوَّة على فكِّه ..

وكاد جنود (الجستابو) يطلقون النار على (نور) ، لولا أن (كارل) كان يحول بينهم وبينه ، وهو يمسك فكَّه ، ويصرخ فى ثورة :

ــ أيها الحقير .. كيف تجرؤ ؟!! ..

ثم صرخ فى رجاله :

ــ أمسكوا به .. أُريد هذا الوغد حيًّا .

انقضَّ الرجال الخمسة على (نور) ، الذى كال لأوَّلهم لكمة ساحقة ، وركل الثانى فى معدته ، قبل أن يهوى الثالث على مؤخرة رأسه بكعب بندقيته ، فيلقيه أرضًا ، وانقضَّ عليه (كارل) ، وجذبه من سترته فى سخط هائل ، وصرخ وهو يلوِّح بمديته فى وجهه :

ــ هل تجرؤ على مهاجمة أحد ضبَّاط (الجستابو) أيُّها الحقير ؟! .. وأين ؟ .. فى مكتبه داخل بيت الثعالب ؟! .. إنك ستدفع ثمن ذلك .

لم يعد هناك ما يخسره (نور) ، فقد كان يعلم أن وحشًا ــ مثل (كارل مانهايم) ــ لن يغفر له ذلك أبدًا ؛ لذا فقد لكمه فجأة بين عينيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ اذهب إلى الجحيم .

سقط (كارل) أرضًا ، وهو يسبّ ساخطًا ، وقفز (نور) واقفًا على قدميه ، استعدادًا لملاقاة الرجال الخمسة ، الذين عادوا ينقضُّون عليه فى شراسة ، واندفع (محمود) يحاول معاونته ، ولكنَّ الرجال الذين امتلأت قلوبهم بالسخط والغضب ، تحوَّلوا إلى وحوش آدميَّة ، فانهالوا بكعوب مدافعهم الرشاشة على (نور) و (محمود) ، بكل قوَّة وغضب ، حتى سقط بطلانا أرضًا ، وكل خليَّة فى جسديهما تئن وتتأوَّه ..

وصرخ (كارل) :

ــ أمسكوهما .. أريدهما تحت رحمتى .

أمسك رجاله (نور) و (محمود) فى إحكام ، والتقط هو مُديته فى شراسة ، ورفعها فى وجهيهما ، وهو يقول فى غضب وشماتة :

ــ يا لكما من غبيِّين !! .. لقد كنت أنوى اقتلاع عين كل منكما اليسرى فحسب ، أمَّا الآن فسأقتلع عينيكما ولسانيكما أيضًا و .....

فاطعه صوت صارم يقول فى حزم :

ــ ليس الآن يا (كارل) .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت ، واتسعت عينا (نور) و (محمود) فى دهشة ..

لقد كان أكبر سنًّا على نحو واضح ، وامتدَّ الشيب إلى شعره كله ، إلا قليلًا ، ولكنه كان هو ..

كان الشيطان (خالد رضوان) ، فى زىّ جنرالات النازية ..

* * *



١٠ ـ جنرال (هتلر) ..

كانت مفاجأة حقيقية هذه المرّة ..

كان (خالد رضوان) يرتدى زيًّا يؤكِّد أنه يحتل مكانة مرموقة ، وسط جنرالات (هتلر) ..

هذا الشحوب الذى اعترى (كارل) ، والخوف والاحترام ، اللذان امتزجا فى وجوه جنوده ، كل ذلك كان يؤكد رفعة مكانته ، وشدة سطوته ..

ولقد كان يقف فى شموخ ، عاقدًا كفَّيه خلف ظهره ، ومتطلِّعًا إلى الجميع فى صرامة ، ومضت فترة من الصمت ، قبل أن يغمغم (كارل) :

ـ إنهما اثنان من زعماء المقاومة ، الذين أمرتنا بالبحث عنهم يا جنرال (فريدريش) .

صمت (خالد) لحظة ، وهو يَحْدِجُه بنظرة صارمة ، ثم قال فى برود :

ـ ولكننى لست أذكر أننى قد أمرتك باقتلاع عيونهم ، أو قطع ألسنتهم يا (كارل) .

صاح (كارل) فى غضب :

ـ لقد هاجمانا ، وقاتلانا هنا و .....

قاطعه فى حزم صارم :

ـ هل تجد هذا كافيًا لعصيان أوامرى .

شحب وجه (كارل) ، وغمغم فى اضطراب :

ـ كلّا يا جنرال (فريدريش) .. كلّا بالطبع .

تجاهله (فريدريش) تمامًا ، والتفت إلى أحد الجنود ، قائلًا فى لهجة آمرة صارمة :

ـ أوثقهما بالأغلال ، وليخرج الجميع من الحجرة .

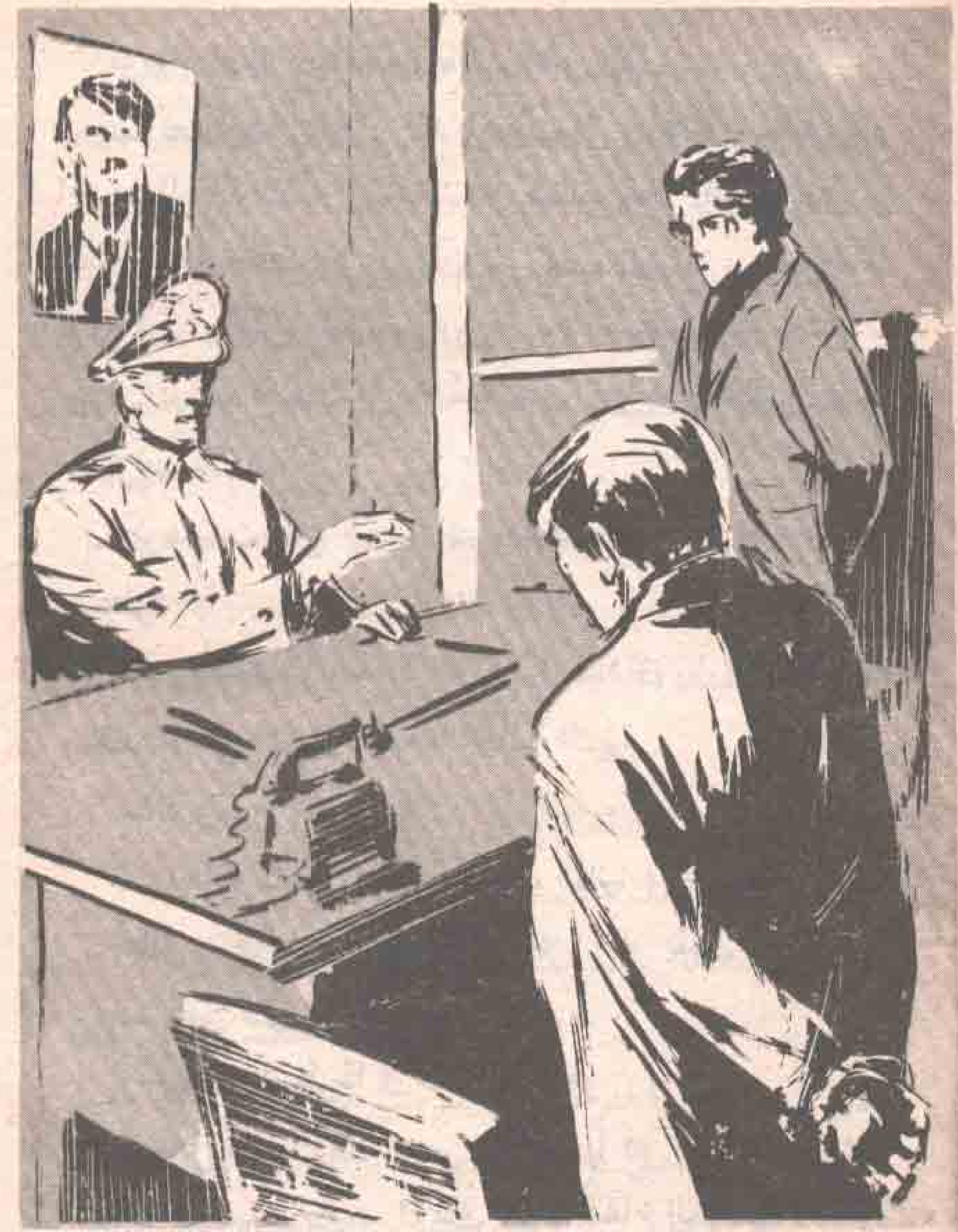
أسرع الجندى يُوثق معصمى كل من (نور) و (محمود) ، خلف ظهريهما ، بأغلال حديدية ، ثم انصرف الجنود الخمسة من الحجرة ، بعد أن ألقَوْا التحيَّة العسكريَّة النازيَّة ، وبقى (خالد) و (كارل) ، فحَدَجَ الأوَّل الأخير بنظرة باردة صارمة ، وهو يقول :

ـ قلت الجميع يا (كارْل) .

غمغم (كارل) فى احتجاج :

ـ إنهما فى بيت الثعالب يا جنرال ، وقانون (الجستابو) يقضى بوجود أحد ضباطنا ، فى أثناء استجواب أحد الـ....

قاطعه (خالد) فى صوت صارم قوىّ :



ابتسم (خالد) ، واستقرَّ خلف مكتب (كارل) ، وهو يقول فى غطرسة :
ـ لقد أحسنت اللعبة هذه المرَّة أيها الرائد ..

ـ الجميع يا (كارل) .

امتقع وجه (كارل) ، ثم لم يلبث أن احتقن غضبًا ، وهو يؤدِّى التحيَّة العسكرية ، واندفع خارج الحجرة فى عصبية واضحة ، فابتسم (خالد) فى ظَفَر ، والتفت إلى (نور) و (محمود) ، قائلًا فى سخرية :

ـ ما رأيكما ؟

أجابه (نور) فى سخرية مماثلة :

ـ من الواضح أنك تحوز سلطة مخيفة ، فى العهد النازىّ يا وغد القرن الخامس والثلاثين .

ابتسم (خالد) ، واستقرَّ خلف مكتب (كارل) ، وهو يقول فى غطرسة :

ـ لقد أحسنت اللُّعبة هذه المرَّة أيها الرائد .. لقد تنبَّهت بعد جولتنا الثالثة إلى أنكم تتبعون خطواتى ، عَبْرَ برنامج خاصّ فى فقَّاعتكم ، يربطكم بفقَّاعتى ؛ لذا فقد أجريت تعديلًا على برنامج فقَّاعتى ، جعلنى أصل إلى (ألمانيا) بدلًا من (فرنسا) ، وقبل خمس سنوات من وصولكم .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـ قبل خمس سنوات ؟!

أومأ (خالد) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم أيها الرائد .. لقد وصلت إلى (ألمانيا) ، قبل بدء الحرب العالمية الثانية ، ونجحت فى كسب ثقة (أدولف هتلر) بلُعبة بارعة ، فهو كما تعلمون من كتب التاريخ ، يؤمن تمامًا بالعرّافين ، وقُرّاء الطالع ، ورجل من المستقبل مثلى يمكنه أن يبهره ، ولقد فعلت إلى الحد الذى جعله يلحقنى بجهاز المخابرات الألمانية .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، مزهوّة ، وهو يستطرد :

ـ ويمكنكما أن تقولا إنه لولا إرشاداتى وآرائى ، ما أقدم (هتلر) على إشعال الحرب العالمية الثانية .

سأله (نور) فى حِدّة :

ـ وماذا ستفعل عندما تخسر (ألمانيا) الحرب ؟

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ـ ومن قال إنها ستفعل ؟

واعتدل مستطردًا فى انفعال وفخر :

ـ هل تعلم كيف انتصر الحلفاء يا فتى ؟ .. هناك ثلاثة أسباب .. هزيمة الجيش الألمانى فى الأصقاع الروسية ، وغزو

(نورماندى) ، والقنبلة الذرية .. وخطتى لتغيير التاريخ ، والحصول على النصر لـ (ألمانيا) ، تعتمد على تحطيم هذه الأسباب الثلاثة .

ونهض من مقعده ، مستطردًا فى اعتزاز :

ـ وسأدحض هذه الأسباب الثلاثة .. سأدفع (هتلر) لمواصلة هجومه الصيفى على (موسكو) ، حتى يربح المعركة قبل بدء الشتاء ، واستعادة الروس لقوّتهم وأنفاسهم ، وسأفضح سرّ غزو (نورماندى) فى الوقت نفسه ، بحيث يفشل الحلفاء فى ذلك الغزو ، الذى جعلهم يستعيدون (أوروبا) .. أما بالنسبة للقنبلة الذرية ، فسأعمل على أن يتوصّل إليها الألمان قبل الحلفاء .

سأله (محمود) فى حِدّة :

ـ وبِمَ ستفيدك رفعة الألمان ؟

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :

ـ يا له من سؤال !! .. هل تعلم أى منصب أحتلُّ الآن يا فتى ؟! .. إننى الجنرال (فريدريش هولدشتاين) ، مدير المخابرات الألمانية فى أوروبا كلها ، والرجل الثالث بعد (هتلر) و (هملر) .. وبعد انتصار (ألمانيا) سيكون من

السهل علىَّ أن أتخلص منهما ، وأحتلّ مركز الصدارة ، وبعلومى المتفوّقة سأصبح سيّد العالم بلا منازع .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لا أحد يمكنه تغيير التاريخ يا (خالد) .

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة أخرى ، وقال :

ـ دعنى أحاول على الأقل أيها الرائد .

عاد (نور) يقول فى حزم :

ـ مُحال يا (خالد) .. لا أحد يمكنه تغيير التاريخ .

غمغم (محمود) فى توتُّر :

ـ هذا ينطبق على تاريخ الكوكب الواحد يا (نور) ، وليس على تاريخ الكواكب الشبيهة .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى ضيق واضح :

ـ لا توجد كواكب شبيهة يا (محمود) .. لقد كنا ضحية خدعة أخرى ..

شحب وجه (محمود) ، وهو يغمغم :

ـ هل تعْنى أننا ....؟!

قاطعه (نور) فى حَنَق :

ـ نعم يا (محمود) .. إننا لم نغادر كوكب الأرض أبدًا .. لقد كنا نجوب عَبْر الزمن .. لا عبر الكواكب .

* * *

١١ ـ زمن اللازمن ..

لم يستوعب (محمود) الأمر للوهلة الأولى ، ثم لم يلبث أن أدرك ما يعنيه (نور) ، فهتف فى ذعر :

ـ يا إلٰهى !!

أمّا (خالد) فقد عقد حاجبيه ، وأخذ يتطلّع إليهما فى حَيْرة ، فى حين قال (نور) فى ضيق :

ـ كان ينبغى أن أدرك ذلك منذ البداية .. لو أن (خالد رضوان) قد فرّ إلى كوكب آخر ، ما كان ذلك يمثّل خطرًا على كوكبه ، ولكن الحقيقة هو أنه قد فرَّ إلى زمن آخر ، أو أزمنة أخرى ، فى تاريخ كوكب الأرض ذاته .

غمغم (محمود) فى ذهول :

ـ هل تعنى أن القرن الخامس والثلاثين الذى زرناه كان .....؟

قاطعه (نور) فى ضيق :

ـ كان مستقبلنا يا (محمود) .. لقد زرنا مستقبل كوكب الأرض .

عاد (محمود) يغمغم :

ــ يا إلهى !!

واستطرد (نور) فى حَنَق :

ــ لقد كان فرار رجل مثل (خالد) ، إلى أزمنة سابقة ، أمر بالغ الخطورة ، فقد يمكنه تغيير التاريخ كله ، مما سيؤدى إلى محو المستقبل ذاته ، بل الحاضر .. حاضرنا أنت وأنا يا (محمود) .. حاضر (سلوى) و (رمزى) .. قد يدمِّر حياتنا كلها ، لو سيطر على الأرض فى تاريخ سابق لمولدنا .. ولكن قانون القرن الخامس والثلاثين كان يحظر معرفتنا لذلك ، ولكنهم كانوا يحتاجون إلينا فى الوقت ذاته ؛ لذا فقد خدعونا بقصة الكواكب الشبيهة ، ومنحونا فقّاعة يحجب بريقها الفِضّىّ ما يدور خارجها ، حتى لا نعلم أننا نسافر عبر الزّمن ، لا عَبْر الفضاء والكواكب .

غمغم (محمود) :

ــ ولكن هذا يضيرنا أيضًا يا (نور) .. فلو أننا الآن فى الماضى الفعلى لكوكب الأرض ، فسيعنى هذا أن نقاتل بشراسة أكثر ، دفاعًا عن كياننا ، وليس عن مستقبلنا فحسب .. أعنى مستقبلهم ..

اعتدل (خالد) فجأة ، وهو يسأل (نور) :

ــ كيف توصّلت إلى هذا الاستنتاج أيها الرائد ؟

أجابه (نور) فى حِدَّة :

ــ عبارتك أوصلتنى إلى هذا أيها الوغد ، فلو أننا ننتقل عَبْرَ الفضاء ، إلى كواكب شبيهة بالأرض ، لوصلنا ــ نحن وأنت ــ فى وقت واحد ، أو فى موعد متقارب على الأقل ، ولكنك وصلت قبلنا بخمس سنوات ، ولقد بدا تقدُّمك فى السنّ واضحًا فى ملامحك ، ولا يوجد تفسير لهذا سوى أننا نسافر عبْرَ الزّمن ، وأنك قد انتقلت بفقّاعتك إلى زمن آخر ، يسبقنا بهذه السنوات الخمس .

ابتسم (خالد) وهو يغمغم :

ــ هذا طريف .

ثم نهض فى هدوء ، ودفع يده فجأة نحو حزام (نور) ، وانتزع منه ذلك القرص المستدير الصغير ، الذى يستدعى به (نور) فقّاعته الزجاجيَّة ، وتأمّله فى سخرية ، فغمغم (نور) فى صرامة :

ــ اترك هذا القرص .

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ أتركه ؟!.. هل تريد منّى أن أترك لك سلاحًا ؟
أطلق ضحكته الساخرة مرّة أخرى ، قبل أن يستطرد :
ـ إنك لن تحتاج إلى هذا القرص مرّة أخرى أيها الرائد .. إن نهايتك ونهاية فريقك ستكون هنا .. وحتى لو نجوتم ، لن يمكنكم العودة إلى زمنكم أبدًا .
وانعقد حاجباه ، وهو يردف فى شراسة :
ـ أبدًا .
وبكل وحشية وحِدَّة ألقى القرص أرضًا و ....
وهشّمه بقدمه تمامًا ..

* * *

تطلّع رجال المقاومة الفرنسية ، فى دهشة ، إلى الجهاز المعقّد ، الذى انهمكت (سلوى) فى صنعه ، وتبادلوا نظرات الحَيْرة ، وانتقلت نظراتهم إلى (برچيت) و (رمزى) ، فقال هذا الأخير فى هدوء :
ـ قلت لكم إنها خبيرة إليكترونيات .
عادوا يتبادلون نظرة الحَيْرة ، التى اختلطت هذه المرّة بكثير من الشّك والرِّيبة ، فاعتدلت (سلوى) فى نفس اللحظة ، وهى تقول فى ارتياح :

ـ لقد انتهيت .
سألتها (برچيت) فى اهتمام :
ـ هل أنت واثقة من أن جهازك هذا سيقوم بالعمل ، كما أخبرتنا ؟
أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تقول :
ـ تمام الثقة .
ثم أردفت ، وهى تشير إلى الجهاز :
ـ جهازى هذا سيعزل بيت الثعالب تمامًا ، وسيجعلنا الجهة الوحيدة ، التى يمكنها إرسال أو استقبال أية رسائل من وإلى هناك .
غمغمت (برچيت) فى توتُّر :
ـ هل سيتوصَّل إلى الموجة السِّرِّيَّة أوّلًا ؟
أومأت (سلوى) برأسها إيجابًا ، فعادت (برچيت) تسألها فى حِدَّة :
ـ كيف ؟
أشارت إلى ساعة يدها ، وهى تقول فى حزم :
ـ بواسطة هذه .. بواسطتها ستنجح عملية اقتحام بيت الثعالب .

* * *

هتف (نور) فى حنَق ، حينما حطَّم (خالد) قرص استدعاء فقَّاعة الزمن :

ـــ أنت حقير .

مطَّ (خالد) شفتيه فى لامبالاة ، وقال :

ـــ لقد سئمت سماع هذا القول منك أيها الرائد .

صاح (نور) فى جِدَّة :

ـــ ولكنك لن تنتصر أيها الوغد ، حتى ولو جعلتنا أسْرَى هذا الزمن .. التاريخ يؤكِّد ذلك .

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ـــ ذلك التاريخ لم يُكتب بعد أيها الرائد .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ وجودنا ووجودك هنا يؤكدان أنه قد كُتب بالفعل أيها الحقير .

هزَّ (خالد) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ـــ ولكننا الآن هنا .. فى زمن آخر .. إننا لم نعد ننتمى للزمن الذى جئنا منه .

وابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

ـــ هذا ينطبق عليك وعلى فريقك أيضًا .

ثم صاح بأعلى صوت :

ـــ (كارل) .

اندفع (كارل) إلى داخل الحجرة فجأة ، كما لو كان يتحفَّز لهذا النداء ، فقال له (خالد) فى صرامة :

ـــ ضعهما فى إحدى زنزانات بيت الثعالب ، ولكن لا تمسّهما بسوء ، حتى أعود إليك .. عندئذ فقط سنُعْدِمُهما .

وابتسم ابتسامة ساخرة ، قبل أن يردف :

ـــ سنعدمهما فى منتصف القرن العشرين .

* * *

استند (محمود) بظهره إلى جدار الزنزانة الرطبة الصغيرة ، التى وضعهما فيها (كارل) ، وهو يسبّ ويلعن ساخطًا ، ويتوعَّدهما بالعذاب ، حينما يتخلَّى عنهما (فريدريش) ، وران على الزنزانة صمت ثقيل ، قبل أن يسأل (محمود) (نور) ، دون أن يميل ببصره نحوه :

ـــ متى ولدت يا (نور) ؟

ابتسم (نور) ، وهو يجيبه فى هدوء :

ـــ عام ألف وتسعمائة وستة وسبعين يا (محمود) .. لماذا تسأل ؟

غمغم (محمود) فى أسىً :

ـ هذا يعنى أنك ستموت قبل ثلاثة وثلاثين عامًا من مَوْلدك .. أية سخرية هذه ؟

تمتم (نور) :

ـ لعبة الزمن يا (محمود) .

هتف (محمود) فى سخط :

ـ اللّعنة على هذه اللعبة الملعونة ، لقد أفقدتنى الإحساس بالماضى والحاضر والمستقبل .. لم أعد أدرى إلى أى زمن ننتمى .

أجابه (نور) فى حزن :

ـ إلى هذا الزمن يا (محمود) .. لقد أصبحنا أسرى له ، ما دمنا قد فقدنا وسيلة اتصالنا الوحيدة بالفقّاعة ، التى يمكنها أن تعود بنا إلى زمننا .

غمغم (محمود) فى حَنَق :

ـ اللّعنة !!

وفجأة .. انتصب عنق (نور) على نحو عجيب ، أثار دهشة (محمود) وذُعْره ، فاعتدل وهو يهتف :

ـ ماذا هناك ؟

أشار إليه (نور) أن يصمت ، وظلّ صامتًا ، عاقدًا حاجبيه بعض الوقت ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، وهو يغمغم فى مرح :

ـ رائع يا (سلوى) .

عاد (محمود) يسأله فى توتُّر :

ـ ماذا هناك يا (نور) ؟

أشار (نور) إلى أذنه ، وهو يقول :

ـ هل تعلم يا (محمود) أننى أحمل ـ داخل أذنى ـ جهاز استقبال بالغ الصغر ، عالى الجودة ، يتيح لزوجتى (سلوى) استدعائى ، فى أية لحظة ، أو فى حالة مواجهتها لأى خطر ، من خلال ساعتها ، التى تحمل جهاز إرسال بالغ الصغر والدقة .

هبَّ (محمود) واقفًا ، وهو يهتف فى انفعال :

ـ هل اتصلت بك ؟

أجابه (نور) بإيماءة من رأسه ، وابتسم وهو يقول فى ارتياح :

ـ نعم يا (محمود) .. لقد أقنع (رمزى) رجال المقاومة الفرنسية بعمل محاولة لإنقاذنا .. وما دمنا قد

أصبحنا أسرى هذا الزمن ، فلنعش فيه كأبطال يا (محمود) .. أبطال .

وتنهَّد قبل أن يردف فى قلق :

ــ المهم أن تنجح خطة اقتحام بيت الثعالب .

* * *



١٢ ــ بيت الثعــالب ..

عقد (كارل) حاجبيه ، وهــو يتطلَّــع إلى (نور) و (محمود) فى شك ، قبل أن يسألهما فى حِدَّة :

ــ لماذا تريدان مِنّى أن أتصل بالقيادة العليا ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ اسمع ياهِرْ (كارل) .. إننا نمنحك فرصة مثاليــة للترقّى ، والتخلُّص من الجنرال (فريدريش هولدشتايـن) فى الوقت ذاته .

تألَّقت عينا (كارل) ، وهو يقول فى اهتمام :

ــ كيف ؟

وقبل أن يجيبه أحدهما ، استدرك فى صرامة :

ــ ولكن حَذَارِ من الخداع ، فلو أنكما .....

قاطعه (نور) فى هدوء :

ــ إننا نملك الدليل على أن (فريـدريش هولدشتايـن) جاسوس للبريطانيين .

قفز (كارل) من مقعده مذعورًا ، وهو يهتف فى ذهول :

ــ جاسوس ؟!

أجابه (نور) بنفس الهدوء :

ــ نعم .. وسيجدون الدليل فى الدرج السُّفْلىّ الأيمن من مكتبه .

اتسعت عينا (كارل) فى دهشة ، وهو يقول :

ــ كيف .. كيف علمت ذلك ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ إننا نعمل لحسابه .

سقط (كارل) على مقعده ، وهو يغمغم فى ذهول :

ــ ماذا ؟!

أسرع (محمود) يقول :

ــ كيف لم تدرك ذلك ؟.. ألم يمنعك من إيذائنا ؟.. ألم يطلب منك الحفاظ علينا حتى يعود ؟..

غمغم (كارل) فى صوت متحشرج ، من شدة الانفعال :

ــ نعم .. نعم .. لقد فعل .

ثم قفز من مقعده ، صائحًا فى الجندىّ الذى يقف على مَقْرَبة منه :

ــ اتصل بالقائد (هملر) الآن .. أخبره بأن (كارل مانهايم) يحمل إليه قنبلة .. هَيَّا أسرع ..

ثم أشار إلى (نور) و (محمود) ، مستطردًا :

ــ وعُدْ بهذين إلى زنزانتهما ، حتى أصدر أوامرى بشأنهما ..

* * *

اجتاح الانفعال (سلوى) ، وهى تقول فى حماس :

ــ لقد حدث الاتصال .. لقد التقطت موجة بيت الثعالب السِّرِّيَّة .

أمسكت (برچيت) كتفها فى قوَّة ، وهى تقول فى انفعال :

ــ كيف ؟!.. كيف نجحت ؟

أطلقت (سلوى) ضحكة مرحة ، وهى تقول :

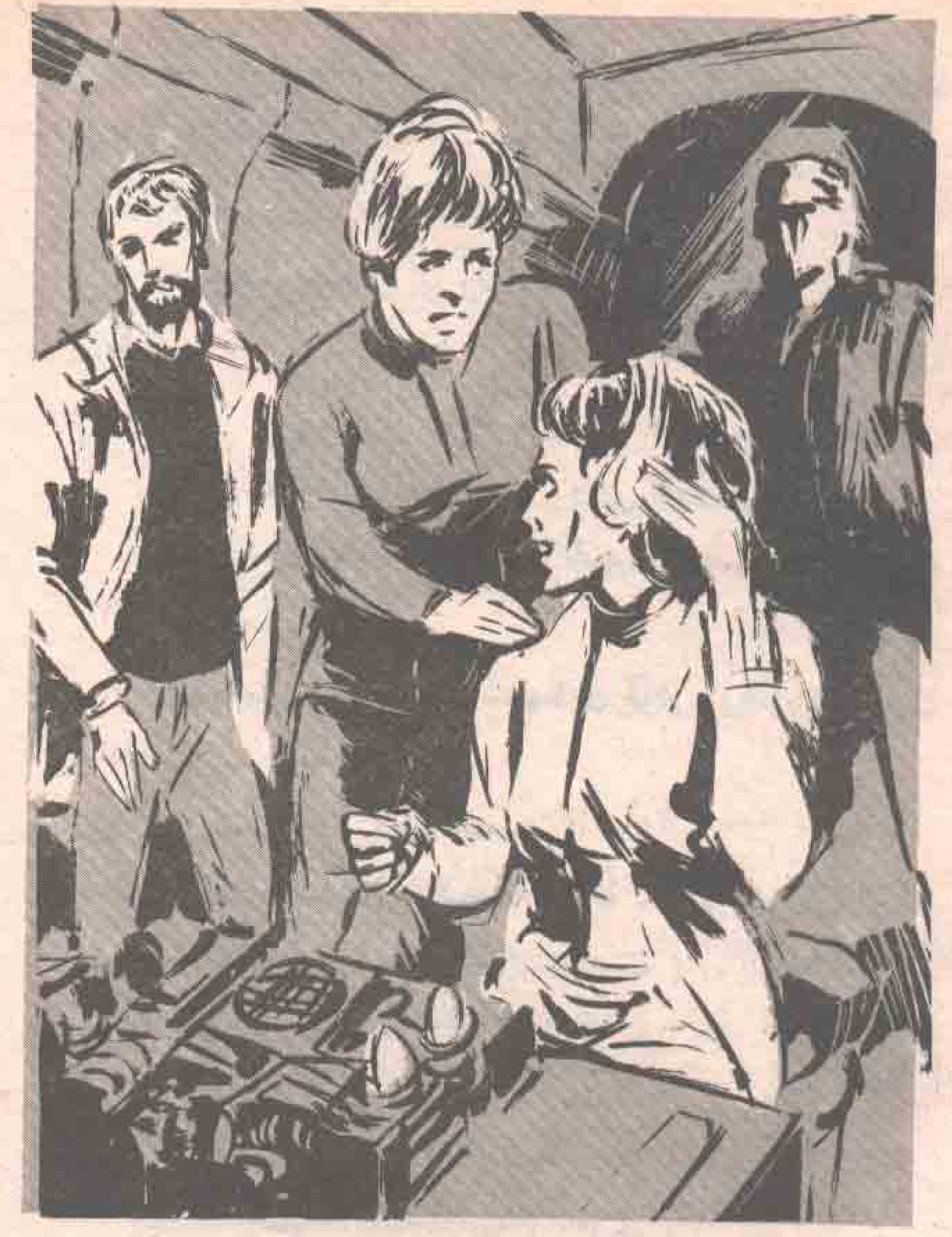
ــ التكنولوچيا ياعزيزتى (برچيت) .. التكنولوچيا .

صاحت (برچيت) فى حماس :

ــ رائع ياعزيزتى .

ثم التفتت إلى (رمزى) تسأله :

ــ ما الخطوة التالية ياسيد (رمزى) ؟



اجتاح الأنفعال (سلوى) ، وهى تقول فى حماس :
ــ لقد حدث الاتصال .. لقد التقطت موجة بيت الثعالب السّرّيّة ..

تنهّد (رمزى) فى ارتياح ، وقال :
ــ لقد أصبحنا نسيطر تمامًا على موجة بيت الثعالب ، بعد هذه الرّسالة على الأقل ، وكل ما علينا الآن هو أن نرسل إلى رجال (الجستابو) رسالة ، تشير إلى قدوم جنرال شهير لزيارتهم ، وإجراء تفتيش روتينى على مقرّهم ، وحينما يحاولون التأكّد من صحة الرسالة ، سنجيبهم نحن ، ونؤكّد لهم صحتها ، وعندما يدخل هذا الجنرال إلى بيت الثعالب ، سيكون عليه أن يفتح المجال للجميع .
سألته (بريجيت) فى اهتمام :
ــ ومن سيلعب دور الجنرال الألمانى يا مسيو (رمزى) ؟
ران الصمت طويلًا ، قبل أن يجيبها فى هدوء حازم :
ــ أنا .

* * *

تلقّى (هملر) ، القائد الأعلى لقوّات (الجستابو) النازية ، رسالة (كارل مانهايم) فى اهتمام بالغ ، ثم قال لـ(كارل) ، عَبْرَ موجة اللاسلكى السّرّيّة :
ــ حسنًا يا (كارل) .. لا تتخذ أية إجراءات بشأن هذا ، أو بشأن الأسيرين .. واعمل على الحفاظ عليهما حتى تصلك أوامرى .

وأنهى الاتصال ، ثم تناول زجاجة من زجاجات الخمر ، صبَّ منها كأسين ، وناول إحداهما إلى رجل يقف إلى جواره ، مرتديًا ملابس چنرال ، وابتسم وهو يقول :

ـــ الأمور تسير كما توقَّعت أنت تمامًا يا عزيزى (فريدريش هولدشتاين) .

ابتسم (خالد) فى ثقة ، وهو يقول :

ـــ كنت أتوقَّع هذا يا عزيزى (هملر) .. كنت أتوقَّع أن يحاولا اتهامى بالخيانة .

ارتشف (هملر) بعضًا من كأسه ، قبل أن يسأله :

ـــ ماذا تتوقَّع منهما أن يفعلا أيضًا ؟

هزَّ (خالد) كتفيه ، وأجابه فى هدوء :

ـــ بالنسبة لهما فلن يفعلا ما هو أكثر من ذلك ، أما بالنسبة للرجل والفتاة الآخرين ، فالأمر يختلف .

عقد (هملر) حاجبيه ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـــ ماذا تتوقَّع بالنسبة لهما ؟

ارتشف (خالد) بعضًا من كأسه أيضًا ، ثم أجاب فى هدوء ساخر :

ـــ سيحاولان اقتحام بيت الثعالب .

هتف (هملر) فى دهشة واستنكار :

ـــ ماذا ؟!.. هل سيبلغ بهما الجنون هذا المبلغ ؟

أومأ (خالد) برأسه إيجابًا ، وقال فى هدوء :

ـــ إنهما يملكان أسلحة تجريبيَّة حديثة ، كما سبق أن أخبرتك .

عاد (هملر) يرتشف ما بقى من كأسه بعصبيَّة ، ثم سأله :

ـــ ماذا تقترح يا (فريدريش) ؟

مطَّ (خالد) شفتيه ، وقال :

ـــ سنلغى كل الزيارات إلى بيت ثعالب (باريس) ، وسيمنع أى مخلوق من الذهاب إلى هناك ، وكل من يدَّعى أنه زائر ، سيكون أحد أتباع هؤلاء الجواسيس و ....

سأله (هملر) فى انفعال :

ـــ وماذا ؟

ابتسم (خالد) فى سخرية ، ومرَّر يده على عنقه ، وكأنما يعلن الجواب ، فارتسمت ابتسامة شرسة على شفتى (هملر) ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ نعم .. هذا الجواب يروق لى .

ثم رفع كأسه عاليًا ، وهو يهتف فى حماس :

ـــ نخب انتصارات (ألمانيا) ، ومجد الرايخ الثالث .

أعاد (خالد) النخب ، وارتشف قطرة من كأسه ، ثم عاد يرفعها ، وهو يقول فى هدوء :

ــ نخب نجاحنا فى عملية الأسْرَى .

هتف (هملر) فى مرح :

ــ بل نخب نهاية الأسرى المرتقبة .

ابتسم (خالد) فى سخرية ، وهو يغمغم :

ــ لقد حانت نهايتهم على كل الأحوال ياعزيزى (هملر) .. فحتى لو نجوا من الموت ، فسيظلُّون أسْرَىَ إلى الأبد .. أسْرَى فى هذا الزمن .

صاح (هملر) ، وقد لعبت الخمر برأسه :

ــ إذن فلنشرب نخب أسْرَى الزمن .

تألَّقت عينا (خالد) ، وهو يغمغم فى ظَفَر وسخرية :

ــ نعم .. نخب أسْرَى الزمن ..

ولكن المعركة لم تنته بعد ..

* * *

انتهى الجــزء الثــانى

ويليه الجزء الثالث والأخير

فى الرواية رقم (٥٦)

[شـيطان الأجيـال]

